القسم الثاني:

الجانب التطبيقي

neelwafurat.com

الفصل الأول: سيدنا يوسف عليه السلام - بلاغة الإرسال

(يتناول هذا الفصل دراسة خطاب المرسل الأساسي الذي دار حوله جوهر الحكي والقص، وهو يوسف عليه السلام، ويذكر المواقف التي ورد فيها سيدنا يوسف مرسلًا مع امرأة العزيز، وسيدنا يعقوب، وإخوة يوسف عليه السلام، والملك وأصحاب يوسف عليه السلام في السجن، وفتيانه... ويرصد لتحول المرسل إلى متلق في بعض المواقف، ودور بعض الآليات اللغوية في قوة الإنجاز مثل التكرار وغيرها....).

يشترط الجاحظ في الإبانة عن المعاني دلالات خمس بقوله: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، (النصبة هي الحالة الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات) ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، مرحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وعن أقدارها وعن خصائصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعما يكون منها لغوا بهرجا وساقطا مطرقا[1]».

وعند تطبيق هذه الأشياء الخمس على محور أو مبدأ الكم الذي اقترحه (جريس) والذي ينص على أن المتحدث أو المرسل يجب أن يكون إسهامه في الحوار بالقدر المطلوب، دون أن يزيد أو ينقص عليه، ويقابله المستمع في رجع الصدى.

(١) البيان والتبيين، ص ٥٦.

ويذكر الرماني في كتابه «النكت في إعجاز القرآن» أن البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وهو بذلك يوافق الراغب الأصفهاني حيث يرى أن البلاغة تقال على وجهين: أحدهما أن يكون الكلام بذاته بليغًا بأن يجمع ثلاثة أوصاف، صوابه في موضوع لغته، ومطابقته للمعنى المقصود وصدقه في نفسه. والثاني: أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له[1]». ويخلص الرماني إلى أن أعلى طبقات البلاغة في الحسن هي بلاغة القرآن، وأن أعلى طبقات البلاغة خاصة في القرآن، ولا توجد في غيره من الكلام، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم عامة وللعرب من باب أولى[2]». والسؤال كيف يتجلى لنا البحث عن مضارب البيان وروعة الأداء في المواقف الاتصالية التي كان سيدنا يوسف فيها مرسلاً ثم مستقبلًا.

أولًا: بين يوسف عليه السلام وامرأة العزيز

أولى هذه المواقف التي ورد فيها سيدنا يوسف عليه السلام مرسلًا، وهو يدعو ربه جل جلاله، في الآيات: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف:٢٣] وقوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [يوسف:٣٣] وقوله تعالى: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [يوسف:١٠١] وترتبط الآيتان: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف:٢٣] وقوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [يوسف:٣٣] ارتباطًا خاصًّا باعتبارهما

(١) المفردات، الراغب، مادة بلغ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ص ١٤٨، ع ٩٠، سنة ٢٧.
(٢) النكت في إعجاز القرآن، ص ٧٦.

نقطة بدء وانتهاء لحدث رئيس داخل السورة ساهم في تنامي بنية القص، وهو الحديث الخاص بخبر (يوسف وامرأة العزيز) أما المشهد الأول فيحكي موقف سيدنا يوسف من امرأة العزيز، قال تعالى:﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[يوسف:٢٣] والمشهد الثاني: يتعلق بكيد النسوة في المدينة لسيدنا يوسف، قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[يوسف:٣٣].

وتلتقي الآيتان في مشهد الإغراء المتواصل الذي تعرض له سيدنا يوسف عليه السلام، وقد كان هذا الحادث قبل إيتائه النبوة، لأن إيتاء النبوءة غلب أن يكون في سن الأربعين، والأظهر أنه أوتي النبوة والرسالة بعد دخول أهله إلى مصر، وبعد وفاة أبيه، وقد تعرضت الآيات لتقرير ثبات يوسف على العفاف والوفاء وكرم الخلق، فالمراودة تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة، والمفاعلة مستعملة في التكرير، وقيل المفاعلة تقديرية بأن اعتبر العمل من جانب، والممانعة من الجانب الآخر من العمل بمنزلة مقابلة العمل بمثله، والمراودة، مشتقة من راد يراود، إذا جاء وذهب...إلخ.

وعندئذ قال يوسف عليه السلام (معاذ الله) ومعاذ: مصدر أضيف إلى اسم الجلالة إضافة المصدر إلى معموله، وأصله أعوذ عوذًا بالله أي: أعتصم به، وضمير «إنه» يجوز أن يعود إلى اسم الجلالة، ويكون (ربي) بمعنى خالقي، ويجوز أن يعود إلى معلوم من المقام، وهو زوجها الذي لا يرضى بأن يمسها غيره، فهو معلوم بدلالة العرف، ويكون ربي بمعنى سيدي ومالكي.

وهذا من الكلام الموجه توجيهًا بليغًا حكي به كلام يوسف عليه السلام، إما لأن يوسف أتى بمثل هذا التركيب في لغة القبط وهو قوله:﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي**﴾[يوسف:٢٣]، وإما لأنه بتركيبين عذرين لامتناعه، فحكاهما القرآن

بطريقة الإيجاز والتوجيه... وذكر وصف الرب على الاحتمالين لما يؤذن به وجوب طاعته ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، تعليل للامتناع[١]».

أما الآية الثانية والتي تتعلق بسلوك النسوة في المدينة فتبدأ بالاستئناف البياني، لأن ما حكي قبله مقام شدة من شأنه أن يسأل سامعه عن حال تلقي يوسف عليه السلام فيه لكلام امرأة العزيز، وهذا الكلام مناجاة لربه الذي هو شاهدهم، فالظاهر أنه قال هذا القول في نفسه، ويحتمل أنه جهر به في ملئهن تأييسا لهن من أن يفعل ما تأمره به[٢].

ونظرًا للمماثلة بين الآيتين نتيجة لاتحاد الموضوع الرئيس، وهو موقف الغواية ستتشابه المحددات الأسلوبية المرتبطة بالمرسل في كلتا الآيتين. وإن اختص سياق كل آية بمحددات أسلوبية خاصة.

فعند تطبيق أطراف العملية الاتصالية يتحدد سيدنا يوسف عليه السلام مرسلًا منتزعًا من سياق عام هو فيه مستقبل لرسالة تواصلية، استغلت فيها آليات التواصل اللفظي وغير اللفظي من قبل امرأة العزيز.

وعلى مستوى التواصل اللفظي تقف جملة مقول القول الواصفة (هيت لك) رسالة تواصلية منجزة الدلالة بكل ما تحتويه من تفصيلات وتلميحات دلالية، أما سلوك التواصل غير اللفظي فلربما أفصحت عنه الآيات الأخريات، التي يختتم بها فعل المراودة واستباق الباب. إن الظرف الاتصالي الذي تحول فيه يوسف عليه السلام من مستقبل إلى مرسل رافض يوضح تغلبًا للبنية اللفظية التي استخدمتها امرأة العزيز في مقابل البنية اللفظية التي لجأ إليه سيدنا يوسف عليه السلام، ومن ثم نذهب إلى تحري سلوك الهيئة الاتصالية في الحدث.

---

(١) التحرير والتنوير، ج١٣.
(٢) السابق.

الجانب المقاصدي في الآيات

اسمها الحقيقي (زليخا) الذي أثبته بعض المفسرين، ومصدرهم أهل الكتاب، وقد أضيفت المرأة إلى زوجها لموقعه السياسي؛ زيادة في التعريض بها، والكيد لها وسخرية منها.

وحددت الجملة علاقة الطرف الأول (المرأة) بالطرف الثاني المحال إليه في كلام سابق، وهي الاسترقاق، ولهذه العلاقة أثر رئيس في الحدث، وما ترتب عليه من مفارقة، فالطرف الأول صاحب سلطة والثاني مملوك، والعبد ولاؤه وطاعته لسيده.

وهناك مفارقة في النوع بين (امرأة زوج)،(فتى يافع) ومفارقة في المبادرة، فالمرأة صاحبة السلطة صاحبة المبادرة، وهناك مفارقة في رد الفعل؛ فعلاقة السلطة تستوجب الطاعة، بيد أن المملوك يأبى، ولم يوصف يوسف عليه السلام بالعبودية؛ تكريمًا، بل وصف بالفتى في: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا**﴾ [يوسف:٣٠]، وكان يوسف وفيًّا أمينًا، وهو مملوك، وكان كذلك، وهو وزير، وهو شاهد أن الطبائع الصالحة لا تتبدل في المحنة والفرج، وأن التحول طبع النفوس الضعيفة، وخبر يوسف عليه السلام شاهد يفسر طبائع رجال السلطة، وحجة عليهم، والأصل في ولاية الأمر الكفاءة والأمانة، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٥٥]. وقد بدأ الحدث بالمراودة، التي تحمل في طيها قولًا مائلًا و إثارة واستهواء، وهو يدل ضمنًا على وقوع الفعل على مفعوله المباشر المشار إليه بضمير يوسف عليه السلام، وقد أثبت الخطاب أنها الفاعلة، وأن الفعل واقع به بقرائن؛ أولها: أنها بادرت بمراودته بعد تدبير، ثم تهيئة المكان وتغليقه:﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا**﴾ [يوسف:٢٣]، والثانية: أن محل الفعل (بيتها)، والثالثة: أنه استبقها إلى الباب للهروب، فوجدا سيدها، وحاولت استباقه لمنعه، الرابعة:(ولقد

obeikandi.com

همت به) محققة (وهم بها)، وهما لا يستويان في الفعل، نحو قولنا: ضربني وضربته، فالأول معتد والثاني مكافئ بالرد، مثل ضربه آخذ بحقه، فالهم منها قد يكون الضرب لرفضه أو هما بقوة الفعل، والهم منه ممتنع في الأول لرؤية برهان ربه أو أنه الدفع الذي أغضبها عليه، وهو ممتنع بمعنى الفاحشة.

وقد تولى الحوار طرفاه الرئيسان، فبدأ بمبادرة المرأة وتعفف يوسف عليه السلام، وتصعد هنا ذروة الحدث التي أغنت الحوار في سياق الاتهام والإصرار على الانتقام منه، و إذلاله بالسجن، ودفاعه عن نفسه، وقد استبقته باتهامه بجملة إنشائية لإثارة الزوج، ولاستقطابه، فضمنت جملتها اتهام الطرف الآخر، وضمنتها العقاب الذي تريده، وهو السجن أو التعذيب، ولم تطرح القتل؛ لأنها تريد أن تستبقي عليه حيًّا لتعلقها له، ولتبرئ غيظ نفسها بإذلاله لتأبيه عليها، وهي تتخذ من عقابه أداة لترهيبه ليخضع لها، وقد لقنت زوجها العقاب الذي تريده بيوسف: ﴿**مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٢٥] ولتصرفه عن النظر في التحقق من الحدث قبل الطرف الثاني الذي وقف موقف الدفاع: ﴿**قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي**﴾ [يوسف:٢٦]، التفت عن مخاطبة المرأة إلى خطاب الغائبة؛ تأدبًا في المقام أمام زوجها وقريبها واستحياء، ولم يواجهها بما همت به؛ لفرط أدبه مع زوج سيده، و لئلا يثير سيده عليه، وهذا التلطف يحسن في خطاب ذوي السلطان في مقام الغضب.

ولم تطرح الأدلة من قبل الطرفين غير اتهام الزوج (المرأة) يوسف عليه السلام بالسوء (الزنى)، وهذا اعتراف ضمني بقصدها من غوايته، فبادر أحد قرابتها بتعيين الدليل المادي ليدينه؛ ظانًّا به السوء؛ لتبرئة الزوج لقرابتها منه أولًا، فقال: ﴿**إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [يوسف:٢٦]، بدليل أنه لم يدن المرأة، واكتفى بالتأنيب أن أدانها الدليل، وبرأ يوسف عليه السلام، وشهادة القريب على قريبه أقوى من شهادة البعيد على القريب، والمحاكمة هنا غير

متعادلة، والحكم المترتب عليها ليس عدلًا، فقد اكتفت بحكم مائع: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾ [يوسف:٢٩] .

وقد تطفل نسوة (في المدينة) على الحدث، فشاركن في الحوار غيبة: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [يوسف:٣٠]، بدأ الخطاب بالتعريف بالنسوة بالصفة (في المدينة)، وصدر عنهن خبر وتقييم؛ الخبر في قولهن: ﴿**امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾ [يوسف:٣٠] والتقييم في قولهن: ﴿**إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [يوسف:٣٠]، وهو تعليق منهن على الفعل.

وهن جماعة من النساء في المدينة (العاصمة)[١]، وقد تحمل يوسف عليه السلام عاقبة تفشي الخبر، فقد اتخذوا قرارًا سياسيًّا بوضعه في السجن؛ ليجعلوه مذنبًا أمام الرأي العام، مناقضين ما ثبت لهم من عفته وأمانته: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾ [يوسف:٣٥] و إيقاع العقوبة على صاحب الحق و إقصاء الصالحين، مألوفان في الوسط السياسي الفاسد، بيد أنهم لم يقصوا يوسف عليه السلام عن محل الحدث الذي يستوجب إبعاده، مخالفين السلوك العام والضرورة والسلامة، وقد جاءت معالجتهم الأزمة متأخرة، فقد بدا لهم رأي مخالف لما ثبت، أن يسجنوا يوسف عليه السلام، وهو رأي يشير إلى تغلغل الفساد وولاية غير الأكفاء، فقد حزبهم إليه تفشي الخبر من حديث النسوة[٢]، وهو غير مقبول عدلًا لدلالة دليل الشاهد على براءته: ﴿**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ(٢٩)**﴾ [يوسف].

---

(١) ارجع إلى القرطبي، ج٩/ ١٤٤، اختلفوا في النسوة اللائي أشعن الخبر، فقيل: إنهن خمس نسوة/ امرأة ساقي العزيز، وامرأة الحاجب، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، قاله ابن عباس وغيره، والأظهر أن تلك الواقعة شاعت في البلد، واشتهرت وتحدث بها النساء، ومضمون الإشاعة أي: امرأة عزيز مصر تطلب من خادمها وعبدها أن يواقعها، ارجع إلى الكشاف، ج٢/ ص٤٦١، والبحر المحيط، م٥/ ٣٠١.

(٢) ارجع إلى معاني القرآن وإعرابه، ج٣/ ٨١، والتحرير والتنوير، ج١٢/ ٢٥١.

وقد وقع العقاب في غير محله متأخرًا، والظاهر أنهم تجاهلوا يوسف عليه السلام عمدًا؛ لئلا تستدعي عودته الحدث، فيذكره الناس، والظروف السياسية التي استدعت أن يسجن فوق ثلاث سنين، وازتها ظروف سياسية قاسية، استوجبت خروجه بقرار من سلطة أعلى من سلطة العزيز، فاشترط لنفسه أن يعترف النسوة ببراءته. فسألهن الملك: ﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)**﴾ [يوسف]، لقد اعترفت النسوة بعفته، واستبعدن السوء عنه، واعترفت هي أيضًا، والخطاب هنا متصل في حديث امرأة العزيز، وهي تعترف، وأكدت عفته؛ لتؤكد له أنها لم تخن غيبته بالكذب عليه، ثم التمست لنفسها العذر؛ لضعفها.

وقد جاء الاعتراف في موضعه، وهو في السجن؛ ليعز شأنه في العامة والخاصة؛ ليكون مؤهلًا لدعوتهم إلى الإيمان، فالعمل السياسي ليس كافيًا في الإقناع دون الاقتناع بشخص الداعي المبرأ من كل سوء، فمن عناصر الاقتناع أن يقتنع المتلقي بشخص المتكلم، وأن لا يناقض المتكلم نفسه بسلوك يخالف ما يقوله، وقد ارتقى يوسف عليه السلام من سجنه سلم السلطة دون تبعات أو ملفات مؤجلة يساوم عليها.

والحوار هنا مدعم في سياق الاتهام والدفاع بالحجج والبراهين، ووظفت الأساليب البلاغية في سياق التهكم والسخرية، ووظفت أيضًا للتأثير والاستقطاب، وهو خطاب غني بالعناصر الحجاجية.[١]

(١) محمود عكاشة: تحليل الخطاب، ص٣٤٠-٣٤٣. بتصرف.

ومن الجانب المقاصدي في الآيات أيضًا وصف الشهود، ودورهم في كشف الجناة في ارتكاب الجريمة، وتبرئة يوسف عليه السلام من جريمة الاعتداء على امرأة العزيز عن طريق الشاهد الذي كان موجودًا في مسرح الجريمة لقوله عز وجل:﴿**قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧)**﴾ [يوسف].

والاعتراف يعتبر سيد الأدلة في كشف الجناة والمجرمين في الجرائم الجنائية، ويتبين ذلك بوضوح من خلال الآيات (٥١-٥٢) التي تنص على اعتراف (نسوة المدينة، امرأة العزيز) لقوله تعالى:﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[يوسف:٥١] اعترفوا ببراءة يوسف عليه السلام وارتكابهم جرائم بحقه.

ومكان وقوع الجريمة يعتبر مبدأ مهمًّا في كشف الجريمة والجناة كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَ أَوْحَيْنَآ إِليهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ [يوسف:١٥] حيث تتضمن الآيات مكان ارتكاب جريمة الشروع بقتل يوسف خارج البيت، والآية ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف:٢٣]التي تبين المكان وهو بيت امرأة العزيز أي في منزل الزوجية، لأن مكان ارتكاب الجريمة وصفة المرتكب له أهمية في تشديد أو تخفيف العقوبة في القانون الجنائي.

وكذلك كشف الكذب، والتي تعتبر طريقة لكشف المجرم في ارتكاب الجريمة كما في الآية:﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف:١٨] حيث

تتضمن الآية كذب إخوة يوسف على أبيهم بشأن أكل يوسف عليه السلام من قبل الذئب، والثانية كذب امرأة العزيز بشأن محاولة اعتداء يوسف عليه السلام عليها، كما في الآية ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٢٥].

وهناك الأدوات التي استعملت في ارتكاب الجريمة كما في الآيات (١٨، ٢٥، ٧٢) الآية الأولى والتي تشير إلى أن إخوة يوسف استعملوا قميصه الملطخ بدم كذب لكي يقنعوا أباهم بقتل يوسف عليه السلام: ﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف:١٨] والآية الثانية والتي تشير إلى تمزيق قميص يوسف عليه السلام في قضية جريمة الاعتداء الجنسي من قبل امرأة العزيز﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٢٥] والآية الثالثة التي توضح دور صواع الملك في قضية السرقة: ﴿**قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ**﴾ [يوسف:٧٢].

فقميص يوسف عليه السلام الذي استخدم كدليل لبراءة إخوته كان هو نفسه الدليل على خيانتهم، وهذا القميص استخدم بعد ذلك كدليل لبراءة يوسف عليه السلام نفسه من تهمة التعدي على امرأة العزيز، ومن ثم استخدم كشفاء لعيون والده يعقوب عليه السلام، كل هذا يبين روعة هذه القصة ومعانيها وأحداثها أمام القارئ، وكأنه يراها بالصوت والصورة.

والقرآن الكريم يحتوي على مبادئ قانونية أخرى رائعة مثل (البصمة) ودورها في كشف الجرائم بمختلف أنواعها كما في سورة القيامة: ﴿**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾[القيامة:٤] لكونها تختلف من إنسان إلى آخر كما اكتشفها

العلم الحديث، وهذا يزيدنا ثقة واطمئنانًا بإعجاز الآية القرآنية ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:٣٨] أي تطرق القرآن الكريم إلى كل جوانب الحياة إما بشكل مباشر أو غير مباشر.[١]

سلوك الهيئة الاتصالية لدى المرسل والمتلقي في الآيات:

اتسمت الآيات بالاتساع الدلالي الناتج من الاتكاء على الأفعال التي وظفت بعيدا عن الاتصال اللفظي مثل الفعلين: (راودت – غلقت) بدلالتهما الحركية مع المطاوعة والتكرار، وكذلك الاتكاء على الأفعال التي وظفت الاتصال اللفظي مثل الفعلين (قالت - هيئت) دلالة اللهفة والرغبة مع السرعة والعجلة وغيرها.

الاستعانة بالإحالات الضميرية (هي) للدلالة على تحكم الرغبة لدى امرأة العزيز في مقابل الإحالة الضميرية (هو) للدلالة على سيدنا يوسف على النحو الآتي: (راودته)(التي)(بيتها)(غلقت)(قالت) (هيت) في مقابل (هو) (نفسه) (لك) (راودته). والمعنى أن سلوك المبادرة والفعل كان غالبا عندها، أي عند امرأة العزيز في مقابل سلوك الرفض والممانعة الواضح من خطاب سيدنا يوسف عليه السلام.

التوازي العددي بين الآيات للمشهدين مع استخدام دلالة الوصف، وجملة مقول القول كالآتي في سلوك المرسل (امرأة العزيز)﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ**﴾ [يوسف:٢٣] ﴿**وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**﴾ [يوسف:٢٣] في مقابل سلوك المستقبل سيدنا يوسف: ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ**﴾﴿**إِنَّهُ رَبِّي**﴾ ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾. والزيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، والقصد أن المباني المرصوفة التي تصف سلوك زوجة العزيز، والتي تعلي من رغبتها، جاءت كثيرة

---

(١) الشيخ صلاح الدين التجاني، نهر النور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ص١٩٢-١٩٤. بتصرف.

obeikandl.com

في مقابل المباني منجزة الدلالة وبصورة أقل في موقف نبي الله يوسف عليه السلام.

الاستعانة بحروف عطف الجمل على الجمل مبالغة في التعرض والرغبة لدى امرأة العزيز، وكأنها تسوق محاولة وراء أختها طلبا للرغبة بدأت بـ: (المراودة المشفوعة بسطوة السيدة وجمالها)، (المراودة المشفوعة أيضًا بسلوك الاستعلاء والقوة)، (المراودة أيضا المشفوعة بسلوك التدلل والتزين السابق، ولربما تعد مراودة المرأة هذه المرة قد سبقتها محاولات أخرى)، (المراودة التي تخالف طبيعة المرأة التي خلقت لكي تكون مطلوبة لا طالبة).

ولما لم تفلح المراودة بكامل هيئاتها، نجد القرآن الكريم ينتقل في وصف حالة امرأة العزيز إلى استخدام أبنية لغوية أخرى، تعلي من ذروة الحدث، وترفع من القوة الإقناعية لدى المتلقي، في محاولة ثانية للإغراء تضاف إلى المحاولة الأولى من قبل امرأة العزيز قال تعالى: ﴿**وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ**﴾ [يوسف:٢٣] في عطف على:﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ**﴾ حيث تدلنا القراءة الإنجازية لهذه الآية على المبالغة في الحدث واللهفة، والتعجل في نيل الوصل الناتج من الفعل الدال على المطاوعة (وغلَّقت).

وتفعيل الباعث الأمني المطمئن لشخص المتلقي من حيث المبالغة في التستر والإحكام (وغلقت الأبواب). والحرص في وسائلها التواصلية على التهيئة والاستعداد في مقابل استهتارها بالرقيب وحديث النسوة:﴿**وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**﴾ [يوسف:٢٣]. مع اتساع المكان وخلوه من الرقيب، ويبدو أنه مخدع سيدنا يوسف، إذ لا يستقيم أن يدخل يوسف عليه السلام إلى مخدعها، وهي الطالبة الراغبة ليست المطلوبة المرغوبة، ولربما يكون لسطوتها مبرر في أن يكون هو عندها في مخدعها بعد طلبها له.. أليست هي سيدة القصر؟!

ومن بلاغة القرآن الكريم أن نجده يصف المشهد في صورة لوحات ولقطات متتابعة، أقرب إلى التصوير المرئي الذي يوظف الصوت والحركة والإشارة واللون والسياق العام، ليعلي من قوة الفعل على النحو التالي: البدء بالمراودة، وما تحويه من عطاء حركي وصوتي ولوني مع التستر والإحكام من خلال الحركة الناتجة من غلق الأبواب، وبالضرورة كل المنافذ، مع تصوير قيامها هي بالفعل ذاته، وهي زوجة العزيز.

والإفصاح العلني المباشر عن الرغبة المحمومة، والتي لم تُجد معها المحاولات غير المباشرة التي اتبعتها امرأة العزيز.

يكمل النص العزيز المعجز دلالة الصورة، ومن خلال عطف الجمل على الجمل ينتقل من الجملة الوصفية إلى جملة مقول القول: ﴿**وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**﴾ [يوسف:٢٣] وفيها التأكيد على الرغبة عن طريق التواصل اللفظي وغير اللفظي. والسرعة والعجلة مع استخدام بنيات لغوية قاطعة الدلالة. ولا يخفى التوافق المفهومي بين (تاء) الفاعل الدال على امرأة العزيز و (كاف الخطاب) في (لك) الدالة على سيدنا يوسف عليه السلام.

أما المستقبل (المرسل) يوسف عليه السلام في الوقت نفسه، فقد قسم دفوعه إلى ثلاث بنيات قصيرة ، بدأت بجملة مقول القول، ويلاحظ في أدائه الآتي:

لم يستخدم أفعالًا أو أوصافًا حركية أو غير لفظية. واعتمد التواصل اللفظي بديلًا عن التواصل الحركي الذي اعتمدته امرأة العزيز. ونوّع في استخدام الأساليب البلاغية ليعلي من قدرته الإنجازية مثل النفي الذي يعطي دلالة الرفض، الدعاء طلبًا للعون في معاذ الله، ويفهم منه أيضا التفويض والالتماس، كذلك استخدام أسلوب التوكيد في: ﴿**إِنَّهُ رَبِّي**﴾ [يوسف:٢٣] ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف:٢٣] والتأكيد على النفي من خلال التصريح به في صدر جملة مقول

القول ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف:٢٣] والاختتام بالنفي في نهاية الآية ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣].

الإحالة اللفظية على معطيات خارجية تبتعد عن سياق الموقف:﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾[يوسف:٢٣]﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣]. مع اتباع أسلوب النصح والإرشاد مع الترفق بامرأة العزيز، حيث لم يرد في الآيات حوار مباشر، أو ما ينقد سلوك امرأة العزيز من قبل سيدنا يوسف عليه السلام.

القوة الإنجازية في الآيات السابقة:

يستعين المنطوق اللغوي بوسائل مساعدة، منها اعتماد صيغة خاصة تميزه عن نظيره، مثل صيغة الأمر أو الاستفهام أو التعجب، وكذلك الاستعانة ببعض الملامح الصوتية الثانوية من نبر وتنغيم، حيث يكثر هذا في الكلام المنطوق عن المكتوب، ومنها أيضًا استخدام ظروف وأحوال خاصة تشير إلى المدى أو الدرجة أو التوكيد، وكذلك استعمال أدوات الربط لتقوية الملمح الإنجازي في المنطوق، ومنها أيضًا استعمال العناصر اللغوية المصاحبة للكلام، وملابسات الكلام وأحواله وغيرها[١].

ويتخذ المتكلمون من الوسائل ما يمكن أن نصنفه إلى نوعين رئيسين: مصاحبات المنطوق. والوسائل اللغوية. ويقصد جون أوستين بالنوع الأول الوسائل الحركية (لغة الجسد) التي تساعد في صنع الحدث التواصلي[٢] مثل الحركات التي تصاحب المنطوقات ، مثل غمزات العين وإشارات الأصابع، وهمزات الأكتاف، وتقطيب الوجه، وإجراءات نظرية الاتصال اللغوي ، أما

(١) د/ محمد حسن عبد العزيز: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ص ٨٢ - ٨٤ وفي تحديد مفهوم القوة الإنجازية ينظر أيضًا، النص والخطاب والاتصال، ص ٢٨٠ - ٣٠٧.

(٢) تصنع الوسائل الحركية بمفردها موقفا اتصاليا خاطفًا، لكن الوظائف الخطابية تظهر فعاليتها عند مصاحبة أفعال الكلام. د/محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص ١٢٣.

النوع الثاني وهو الوسائل اللغوية فيمكن تمييز نوعين من الوسائل اللغوية المستخدمة لتقوية قوة المنطوق الإنجازية ، منه الوسائل المعجمية حيث يضيف المتكلم إلى خطابه الإنشائي وسائل تقويه، والقصد تقوية القوة الإنجازية للمنطوق، وتختلف الوسائل تبعًا لتنوع السياقات، فما يصلح في سياق لا يصلح في سياق آخر، ومن هنا حكم اللغويون، وعلى رأسهم فان دايك بتنوع القوة للمنطوق في الغرض الواحد، وتتنوع صور التقوية للخطاب بين عناصر توجه إلى المتكلم أو تخص المتكلم، ويقوم هو بأدائها، أو إلى عناصر توجه إلى المستمع من المتكلم أو إلى عناصر تختص بمحتوى القضية نفسها.

وهناك المقويات الموجهة إلى المتكلم، ويقصد بها العناصر التي تشير إلى صدق المتكلم أو ثقته بما يعلم أو تبنيه رأيًا معينًا، أو رغبته في تحقيق فعل يؤكد عليه أكثر من مرة بصيغة المتكلم نفسه، ويعبر أيضًا عن موقف المتكلم، ورأيه في سلوك الآخرين، أو أوضاع السلوك التي قام بها الآخرون، أو ما يحتمل أن يقع من تصرفاتهم.

ويمكن رصد هذه الوسائل المستخدمة في خطاب امرأة العزيز لتفعيل القوة الإنجازية:

الاستعانة بأكثر من بنية فعلية متنوعة بين الماضي والمضارع حيث تحيل كل بنية فعلية على حدث ثابت، يعد ركنًا من أركان القصة مثل (لمتنني) (راودته) (استعصم) (يفعل) (ليسجنن) (ليكونًا) والأحداث هي: (اللوم - المراودة - الاستعصام - الفعل - السجن) مع اعتبار الخطاب أو فعل الإرسال موجهًا لأكثر من فرد أو شخصية حيث الاستعانة بالأدوات الدالة على مخاطبة جماعة الإناث (لمتنني - فذلكن) والتركيز على جانب تصديقي بسبب فعل المراودة، وهو جمال سيدنا يوسف عليه السلام:﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] أي جماله وشبابه.

تقسيم الرسالة إلى معالجة أكثر من محور منها:(دفع اللوم من النسوة)، (دفاع امرأة العزيز عن نفسها) (إثبات العفة ورسوخ الإيمان لسيدنا يوسف عليه السلام) (الإصرار على فعل المعصية) (معاقبة سيدنا يوسف عليه السلام وتهديده بالسجن).

وتحميل الخطاب بأكثر من بنية توكيدية:(لقد -لئن - ليسجنن) والتدرج في عرض محتوى القضية الخاص بالموقف مثل (الدفاع ودحض اللوم) (كشف انتفاء وقوع فعل المعصية حيث تعني المراودة عدم الفعل) ثم (التهديد مع الإصرار).

والاستعانة ببنيات لغوية أكثر، مما يعني اتساع المدى الزماني للحكي، فضلًا عن اعتماد أفعال القول: (قالت -لمتنني – راودته) في مقابل أفعال الحدث:(يفعل - ليسجنن). مع انتقال المحتوى القضوي للحدث من سياق الموقف بين طرفي القضية (يوسف عليه السلام – زليخا) إلى السياق الاجتماعي العام (زليخا -النسوة - سيدنا يوسف).

الاعتماد على الجمل الطويلة أو المركبة مناسبة للسياق حيث اجتماع النسوة، ودحض شبهة المعصية عن طريق الإصرار على فعل المراودة، وبيان عفة سيدنا يوسف عليه السلام، في حين يدلنا السياق على الاختلاف الأسلوبي الواضح بين السابق، وبين الآيات التي تصف فعل المراودة، والتي سبق الوقوف عندها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾[يوسف:٢٣] حيث الجمل القصيرة منجزة الدلالة التي تبتعد في تكوينها عن مكملات الجمل.

وعن سلوك المستقبل (سيدنا يوسف عليه السلام) من خلال البنية اللغوية يمكن ملاحظة ما يلي:

اختلاف مستقبل الخطاب في الآيتين، ففي سلوك (المرسل) امرأة العزيز كان الخطاب للنسوة، ومن ثم يظهر السياق الاجتماعي للبنيات اللغوية تفوقًا مقاميًّا

obeikandi.com

للمرأة على حساب النسوة، منها الإصرار على الفعل، وامتلاك وسائل التهديد، في حين كان المستقبل لخطاب سيدنا يوسف عليه السلام (رب العالمين) حيث يقول:﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ...﴾ وهي آية تنطلق من حالية الدعاء والتفويض في موقف استعان فيه (العبد وربه) بمحددات أسلوبية واضحة منها التصريح بتحديد المستوى المقامي (العبد - الرب) (قال رب).

الاتكاء على أدوات لغوية جرى حذفها مثل أداة النداء (يا) في قوله تعالى (قال: رب) والأصل (قال: يا رب...) بالإضافة إلى إثبات أدوات لغوية أخرى تعزز فكرة الاقتراب المتحقق بين العبد وخالقه (ياء المتكلم) في (ربي).

استخدام اللغة الإخبارية بوظيفتها التوصيلية في الإفصاح عن المدلول: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي﴾ [يوسف:٣٣] وتتمثل قدرة هذه اللغة في الميل إلى الأنماط المعيارية في التعبير، والتي لا تخل بالعلاقة العرفية بين اللغة والحقيقة المعبر عنها، وهذا الميل هو ما يعرف عند (مدرسة براغ) باسم الإنتاج الآلي أو اللاإرادي للوسائل اللغوية، وعلى العكس من ذلك تتميز طبيعة اللغة الشعرية بقيامها على تحقيق التأثير والفعالية للوسائل اللغوية[١].

تضمين رد المرسل (سيدنا يوسف) وسائل إقناعية منها: (عرض الحجة وإظهار الحقيقة ثم طلب العون والمدد). فقد أفصح المرسل (سيدنا يوسف عليه السلام) عن رغبة النسوة في أسلوب إخباري تميزت به القصة، وذلك في طيّ ما يقتضيه الكلام الوارد كما في قوله تعالى: (واستبقا الباب) إذ طوى ذكر حضور سيدها وطرقه الباب، وإسراعها إليه لفتحه؛ فإسراعها جميعًا للباب لقطع الشبهة من جهة يوسف عليه السلام، والسبق للشكاية من جهة امرأة العزيز يدل عليه ما بعده من قوله تعالى:

(١) محمد العبد: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، ص٥١ –٥٢.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ [يوسف: ٢٥][١].

يستعين المرسل بالآلية نفسها في طيّ ما يقتضيه الكلام الوارد من عدم ذكر ما يستوجبه فعل المراودة من النسوة في المدينة: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي﴾ [يوسف:٣٣] لمراعاة المقام والمخاطب.

ثم يذهب إلى طلب العون والمدد من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣] (وهذا الكلام مناجاة لربه الذي هو شاهدهم، فالظاهر أنه قال هذا القول في نفسه. ويحتمل أنه جهر به في ملئهن تأييسًا لهن من أن يفعل ما تأمره به، والإخبار بأن السجن أحب إليه من الاستمتاع بالمرأة مستعمل في إنشاء الرضى بالسجن في مرضاة الله تعالى والتباعد عن محارمه، إذ لا فائدة في إخبار في يعلم ما نفسه، فاسم التفضيل على حقيقته[٢].

كذلك كانت من بلاغة المرسل إثبات فعل الممالأة للنسوة جميعهن، في حين أن فعل المراودة جاء من امرأة العزيز، وفي ذلك دلالة على قدرة المرسل الواعية في قراءة الحدث، وأطراف العملية الاتصالية المشاركة فيه، وليقطع بذلك رغبة نساء أخريات حاولن أن يحرضنه على إجابة (امرأة العزيز) من خلال تحذيره من وعيدها بالسجن.

وتتبقى الآية: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ التي تعد نهاية للعملية الاتصالية القائمة بين سيدنا يوسف عليه

---

(١) (التحرير والتنوير. تفسير سورة يوسف.

(٢) (تفسير الآية ٣٣ من التحرير والتنوير.

السلام ورب العالمين، وبها اختتم خطاب المرسل الذي يصلح لعملية اتصالية رائعة، استخدم فيها المرسل أكثر من استراتيجية ختام كانت كالآتي:

البدء بالمدح قبل الختام، والاعتراف بفضل الله عليه في إعطائه أعظم نعم الدنيا والنعمة العظمى في الآخرة؛ دنيويتان وهما: نعمة الولاية على الأرض ونعمة العلم، والثالثة أخروية، وهي نعمة الدين الحق المعبر عنه بالإسلام[١].

مدح الله عز وجل من خلال أسمائه وصفاته، والتي ظهر أثرها على المتلقي (سيدنا يوسف) قبل البدء بالطلب والرجاء، وفي ذلك سلوك دعوي رائع وآلية تأدب نادرة، ومن المعمول به أن البدء بالمدح قبل الطلب تكون أوفق في تحصيل المرجو، وتجعل سياقية المقام حاضرة وقائمة، ومن الأسماء والصفات التي استخدمها المرسل اسم الفاطر: في قوله ﴿**فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [يوسف:١٠١] وهو نداء محذوف حرف ندائه، والفاطر هو الخالق، وأصله من الفطر وهو الشق، وعن ابن عباس: ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها. و إجراء هذا الوصف على اسم الجلالة دون وصف آخر استدلال على عدم جدارة غيره لأن يتخذ وليًّا. والولي: في قوله تعالى:﴿**أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ [يوسف:١٠١] والولي هو الناصر المدبر، وفيه معنى العلم والقدرة، يقال: تولى فلانًا أي اتخذه ناصرًا، وسمي الحليف وليًّا لأن المقصود من الحلف النصرة. ولما كان الإله هو الذي يرجع إليه عابده سمي وليًّا لذلك[٢].

الطلب المختوم به حالة الاتصال في قوله: ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾[يوسف:١٠١] وقد أشار بقوله (توفني مسلمًا) إلى النعمة العظمى وهي نعمة الدين الحق، وطلب توفيقه على الدين الحق يقتضي أنه متصف بالدين

---

(١) التحرير و التنوير – يوسف.

(٢) التحرير والتنوير من سورة الأنعام.

الحق المعبر عنه بالإسلام من الآن، فهو يسأل الدوام عليه إلى الوفاة، والمسلم الذي اتصف بالإسلام وهي الدين الكامل، وهو ما تعبد الله به الأنبياء والرسل عليهم السلام، والإلحاق في قوله (وألحقني) حقيقته جعل الشيء لاحقًا، أي مدركًا من سبقه في السير، وأطلق هنا مجازًا على المزيد في عداد قوم.

والصالحون هم المتصفون بالصلاح، وهو التزام الطاعة، وأراد بهم الأنبياء، فإن كان يوسف عليه السلام نبيًّا فدعاؤه لطلب الدوام على ذلك، وإن كان نُبّئ فيما بعد فهو دعاء بحصوله، وقد صار نبيئًا بعد ورسولا[1].

اتساع المدى الزمني لآلية الخاتمة حيث احتوت على ست آيات محكمات توضح رغبة المرسل في إطالة اللحظة واللقاء، بالإضافة إلى اعتماد الزمن الماضي في وصف العطاء ونعمة التفضل (آتيتني -علمتني) في مقابل أفعال الطلب الواردة في صيغة الأمر مع الرجاء (توفني – ألحقني) والمعنى أن هذه الأفعال والأحوال لا يكون التصرف فيها إلا بإذن رب العالمين، فحادث الوفاة، وكذلك نعمة الهداية أفعال لا تكون للبشر ولكن لله عز وجل.

التأكيد على وجود المرسل بنفسه وعينه في كل الأحوال، وذلك الأمر واضح من خلال الاتكاء على ضمير المتكلم في قوله (ربي -آتيتني -علمتني –وليّ - توفني - ألحقني).

اعتماد بنية الاستدلال المنطقي قبل الطلب والرجاء، (فأمر الملك) و (علم التأويل) كانت من الآثار الواضحة والمكشوفة للعيان، ومن ثم جرى الاستدلال بها لتكون توطئة للطلب، وإذا كان الله عز وجل قد أنعم على يوسف عليه السلام بنعمة الملك، فإن ذلك أمر هين، فالله هو فاطر السماوات والأرض.

---

(١) التحرير والتنوير، سورة يوسف.

الاتكاء على المتضادات لإبراز المعنى، وتوضيح طلاقة القدرة (السماوات- الأرض) (الدنيا – الآخرة) فضلًا عن التوازي على مستوى المفردات طلبًا للإيقاع الموسيقى، والإفادة من موسيقى اللغة وجرس الحروف (آتيتني = علمتني)، (توفني = ألحقني).

ومن خلال الآيات السابقة، والتي كان فيها سيدنا يوسف عليه السلام مرسلًا في سياق يعد معيارًا مهمًّا لتحديد المعنى المراد من اللفظ، وأن هناك فرقًا بين السياق عامة، والسياق في المفهوم القرآني، ففي تعبير المفسرين عن السياق عامة، يقصد به الكلام الذي خرج مخرجًا واحدًا، واشتمل على غرض واحدٍ هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحدٍ، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام أو المعاني المقصودة بالذات هو العنصر الأساسي في مفهوم السياق.

أما السياق القرآني فيقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته[1]». وعند النظر في السياق القرآني نجده يحفل بأنواع عدة منها:

السياق المكاني و يقصد به سياق الآية أو الآيات داخل السورة وموقعها بين السابق من الآيات واللاحق.

السياق الزمني للآيات أو سياق التنزيل ويعني سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النزول.

السياق الموضوعي ومعناه دراسة الآية أو الآيات التي يجمعها موضوع واحد.

(١) الشتوي: دلالة السياق، ص٢٧، نقلاً عن دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، ص٨٨.

السياق المقاصدي ومعناه النظر إلى الآيات القرآنية من خلال مقاصد القرآن الكريم والرؤية القرآنية العامة للموضوع المعالج.

السياق التاريخي بمعنييه العام والخاص، فالعام هو سياق الأحداث التاريخية القديمة التي حكاها القرآن الكريم والمعاصرة لزمن التنزيل والخاص هو أسباب ذلك[1].

وبالرغم من أهمية التقسيمات السابقة لأنواع السياق ودوره في قراءة النص القرآني، والوصول إلى تفسير وانفتاح أفق التأويل، يبقى العزف على آلية المرسل والمتلقي عاملًا مهمًّا في إيجاد نوع من الخصوصية للآيات على بعضها البعض من خلال التقسيم والتوزيع بين أطراف العملية الاتصالية.

وفي حين يهتم السياق المكاني بسياق الآية أو الآيات داخل السورة وموقعها من السابق من الآيات واللاحق، تهتم آلية المرسل والمتلقي بالكشف عن النوع الأسلوبي الخاص بكل عملية في حالتي الإرسال والاستقبال، في أمر لا يقل وضوحًا عن أهمية السياق، فلا شك أن للمرسل محددات أسلوبية خاصة تقابلها في الوقت نفسه محددات أسلوبية خاصة بالمتلقي.

إن رصد مثل هذه التنوعات الأسلوبية داخل الآيات بين المرسل والمستقبل لا يزال حقلًا بكرًا لم تشتغل عليه الدراسات اللسانية العربية حتى الآن، ولربما يقترب من هذا اللون دراسة الأسلوب التي أولاها النقاد واللغويون العرب أهمية كبرى، لكن يبقى أن الولوج إلى هذه المنطقة لم يأخذ حظه حتى الآن من الدراسة.

(١) عبد الرحمن بودرع: أثر السياق في فهم النص القرآني، مجلة الأحياء، عدد ٢٥ ص٧٣.

obeikandi.com

ثانيًا: سيدنا يوسف وسيدنا يعقوب عليهما السلام:

لم تنعقد عملية الاتصال بصورة مباشرة بين سيدنا يوسف وأبيه سيدنا يعقوب على طول السورة إلا في الآيتين:﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[يوسف:١٠٠]، في تبيان يقضي ببداية حالة القص في الآية الأولى، ومثله في نهاية القص في الآية الثانية بين طرفين يمثلان جوهر القصة وشخصيات رئيسة داخل بنية الحكي.

أما الآية الأولى فجاءت على سبيل الحكاية المبدوءة بالفعل الماضي (قال) ولأنها رؤيا فكان الحكي واستخدام جملة مقول القول أكبر تأكيد على أن ما رآه يوسف عليه السلام إنما رؤيا منامية حقة ، كان باعثها الله، وتفاصيلها واضحة دقيقة بما لا يدع مجالًا للتأويل (رأى يوسف عليه السلام الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا ساجدين له). كيف يقع هذا؟

الجانب المقاصدي في الآيات:

ابتداء قصة يوسف عليه السلام بذكر رؤياه إشارة إلى أن الله هيأ نفسه للنبوة، فابتدأه بالرؤيا الصادقة كما جاء في حديث عائشة: «أن الله أول ما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح» وفي ذلك تمهيد للمقصود من القصة، وهو تقرير فضل

يوسف -عليه السلام - من طهارة وزكاء نفسٍ وصبرٍ، فذكر هذه الرؤيا في صدر القصة كالمقدمة والتمهيد للقصة المقصودة[1].

والنداء في الآية مع كون المنادى (سيدنا يعقوب) حاضرًا، مقصود به الاهتمام بالخبر الذي سيلقى إلى المخاطب (سيدنا يعقوب)، فينزل المخاطب منزلة الغائب المطلوب حضوره، وهو كناية عن الاهتمام أو استعارة له، والتاء في (أبتِ) تاء خاصة بكلمة الأب وكلمة الأم في النداء خاصة على نية الإضافة إلى المتكلم، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم أكثر من مرة، وتعطي دلالة الترحم والتأدب وحسن الحوار. وهي مفيدة في تحديد الرتبة الاجتماعية، وطريقة التحاور بين الابن وأبيه، وقد جاء تأكيد ذلك أيضًا في آية الختام الحواري بين الابن وأبيه:﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠].

سلوك الهيئة الاتصالية في الآيات:

يعطينا النظر في الآيتين ما يلي: قصر المدى الحواري الناتج من الاستخدام المتعدد لأكثر من بنية لغوية في آيتي البدء، في مقابل طول المدى الحواري في آيات الختام، وذلك لمراعاة الحالة العمرية للمتحدث، فقد كان سيدنا يوسف عليه السلام في زمن الرؤيا غلامًا صغيرًا، وكان التعبير ببنيات لغوية محدودة وقليلة تناسب المستوى العمري في مقابل الآية الثانية التي اتسع فيها المدى الحواري بلسان المرسل الذي استوى عزيزًا لمصر بعد أن قربه الملك إليه زُلفى، وأولاه على جميع أرض مصر وعمره يومئذ ثلاثون سنة.

أن الآية الثانية: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ على الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا

(١) التحرير والتنوير. سورة يوسف عليه السلام. م السابق، ص٢٠٦.

يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعليمُ الْحَكِيم﴾ [يوسف:١٠٠] جاءت في صورة التوضيح والتفسير لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين﴾ [يوسف:٤]، أو تفصيل بعد إجمال، أو تعبير للرؤيا السابقة التي صرح بها في الآية الأولى، ولذلك اتسع المدى الحواري، وكثرت البنيات اللغوية والمحددات الأسلوبية فيها على حساب الآية الأولى.

أن المرسل في كلا الآيتين واحد ، وهو سيدنا يوسف عليه السلام، في حين تنوع المتلقي بين القلة والكثرة؛ ففي الآية الأولى كان المتلقي واحدًا وهو سيدنا يعقوب، وفي الآية الثانية جاء المتلقي في صورة المفرد، وفي صورة الخطاب للجماعة (سيدنا يعقوب وزوجه وأولاده) والمعنى أن الحدث الاتصالي صار أوسع قليلًا في الآية الثانية عن الآية الأولى، وهذا أمر سيحتاج محددات أسلوبية أخرى، منها اعتماد ضمير الغائب في قوله (رأيتهم) للتعبير عن سجود الكواكب والشمس والقمر، ناقلًا غير العاقل إلى جو المعقولية، لأنه لما كانت الحالة المرئية من الكواكب والشمس والقمر حالة العقلاء، وهي حالة السجود نزلها منزلة العقلاء، فأطلق عليها ضمير (هم) وصيغة (جميعهم) في مقابل الاتكاء على ضمير المخاطب (بكم) ليؤكد حضور الجمع في المشهد الختامي في الآية الثانية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وجَاء بِكُمْ مِنَ البدَوِ﴾.

القوة الإنجازية لسلوك المرسل والمتلقي:

اعتمدت الآية الأولى على خطاب الحكي عبر استخدام الفعلين: (قال- رأى) وفعل واحد يدل على الأداء الحركي المجسد (سجد) وربما ناسب ذلك المرحلة العمرية، وطبيعة الحدث في وقت لم يكن قد تبوأ فيه سيدنا يوسف عليه السلام حكم مصر، أما الآية الثانية فندر فيها خطاب الحكي، واستخدمت

الأفعال الحركية بصورة واضحة نظرًا لكثرة الأحداث والمواقف:(رفع - خرّ - سجد - أخرج - جاء - نزع).

وعند تطبيق مبدأ الإلزام الحواري الذي سبق عرضه يتضح من الآية الأولى أن المعنى الصريح الذي عبرت عنه الآية (حكاية الرؤيا)، في حين يختلف المعنى المتضمن عن المعنى الصريح، والذي عبرت عنه الآية الثانية، ويعني أن الرؤيا واضحة وكاشفة في أن سيدنا يوسف عليه السلام رأى الشمس والقمر والكواكب الإحدى عشر ساجدة، ولما كانت استحالة ذلك قطعًا وواقعيًا؛ لجأ في الآية الثانية إلى كشف رمزية الرؤيا الحقة.. لقد جعل الله تلك الرؤيا تنبيهًا لسيدنا يوسف -عليه السلام - بعلو شأنه ليتذكرها كلما حلت به فائقة؛ فتطمئن بها نفسه أن عاقبته طيبة، وإنما أخبر يوسف -عليه السلام- أباه بهاته الرؤيا لأنه علم بإلهام أو بتعليق سابق من أبيه أن للرؤيا تعبيرًا، وعلم أن الكواكب والشمس والقمر كناية عن موجودات شريفة، وأن سجود المخلوقات له كناية عن عظمة شأنه، ولعله علم أن الكواكب كناية عن موجودات متماثلة، وأن الشمس والقمر كناية عن أصلين لتلك الموجودات، فاستشعر على الإجمال دلالة رؤياه على رفعة شأنه فأخبر بها أباه[١].

ناسبت أيضًا وسائل الربط المعجمي داخل الآية الأولى طبيعة الحدث أو القضية أو المحتوى القضوي الذي تعبر عنه الجمل، وكما أنه معروف في أن الربط المعجمي يقصد به العلاقة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات في النص، وأنها علاقة خاصة لا تفتقر إلى عنصر نحوي يظهرها، وهي ثابتة في نوعين؛ التكرار والتضام[٢]، وقد احتوت الآية الأولى مثل هذا اللون من الربط المعجمي، سعيًا إلى تحديد القضية الأساسية وهي الرؤية المتعلقة بسيدنا يوسف، قال تعالى:

(١) التحرير والتنوير – سورة يوسف. الآيات.
(٢) Judith Irwin: cohesion and Comprehension. pp 35 - 36. وقصدت بالتكرار هنا التكرار الشكلي، ويعني تكرار لفظ واحد في ملفوظ واحد أو أكثر من ملفوظ وهو الآية.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤] وقد تكرر فعل الرؤيا (رأيت - رأيتهم) مع تكرار المخاطب (لأبيه - أبتِ) وللتكرار وظائف خطابية أخرى تساهم في رفع درجة تواصلية النص، من هذه الوظائف الإفهام والإيضاح، والكشف، وتوكيد الكلام، والتشييد من أمره وتقرير المعنى و إثباته[١]. لكن هذه الآلية في الآية الثانية غير موجودة بالرغم من اتساع الحدث: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠)﴾ وعند ابن الأثير: «ليس التكرير محض وقوع للفظ في الكلام أكثر من مرة، أو صياغة المعنى الواحد أكثر من مرة حيث يخرج عن حكم التكرير مثلًا إطالة الفصل من الكلام، وافتقار أوله إلى تمام لا يفهم إلا به، حيث يقتضي سبك الكلام؛ إذ ذاك أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية، ليكون مقارنًا لتمام الفصل»[٢].

والمعنى أن التكرير إذا لم يأت بإضافة معنى أو تأكيد آخر فلا ضرورة له في البناء اللغوي، ما دام أن تكرار الكلمة لا يخدم العملية الاتصالية، وأنه لا صلة له بالإقناع، فأنت تكرر عندما تضيف معنى جديدًا، ومن ثم لا تكرار في القرآن إلا بقصد معنى و إفهام أمر. وهو شكل من أشكال الاتساق المعجمي، و يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرًا مطلقًا أو اسمًا عامًّا[٣].

وعند هاليداي ورقية حسن: «إن التكرار يعني أن أية حالة تكرار يمكن أن تكون مثل (أ)الكلمة نفسها، (ب) مرادفًا أو شبه مرادف. (ج) كلمة عامة.(د) اسمًا عامًّا»[٤].

(١) محمد العبد: النص والخطاب والاتصال. ص٢١٣.
(٢) المثل السائر: ج٣، ص٣.
(٣) لسانيات النص، ص ٤٢.
(٤) Holliday & Ruqaiya Hasan. P. 279.

وتحكم آلية التكرار داخل أي نص مجموعة من العلاقات الدلالية مثل التطابقية والاحتوائية والحصرية والانفصالية حيث تتنوع العلاقات وفقًا لدرجة تكرار اللفظ [١].

وللتكرير وظائف داخل النص، منها أن استخدام التكرار داخل النصوص يؤدي إلى الإسهام في ربط المحتوى القضوي حيث تعمل عناقيد الكلمات المتكررة على ذلك[٢]. لذلك يؤدي التكرار إلى تحديد القضية الأساسية في النص، بالتأكيد على محتوى معين دون آخر، ويشير التكرار إلى الطريقة التي يبنى بها النص دلاليا، حيث يعد أحد العوامل التي ترتبط بالقدرة على الفهم، فالفهم يكون أسرع في حالة استخدام التكرار بنفس الألفاظ مقارنة باستخدام الترادف[٣]. ويعد التكرار أيضا ضربًا من ضروب الإحالة إلى سابق، بمعنى أن الثاني منها يحيل إلى الأول، ومن ثم يحدث السبك بينهما، وبالتالي بين الجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الأول من طرفي التكرار، والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار[٤]. كذلك للتكرار وظائف خطابية عدة تساهم في رفع درجة تواصلية النص، من هذه الوظائف الإفهام والإيضاح والكشف وتوكيد الكلام، والتشييد من أمره، وتقرير المعنى و إثباته[٥].

وترتبط بعض حالات التكرير بالتغيير في سلوك المخاطب، يقول ابن الأثير: «إذا صدر الأمر من الآمر على المأمور بلفظ التكرار مجردًا من قرينة تخرجه عن وضعه، ولم يكن موقفًا بوقت معين، كان ذلك حثًّا له على المبادرة إلى

(١) Idip, P. 283.
(٢) Michale Haey: Pattern so flexis in Text. P45.
(٣) Judith W. Irwin: Cohesion and Comprehension.pp 35-36.
(٤) د/ جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص٧٩.
(٥) د / محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص١٢٣.

امتثال الأمر على الفور، فإنك إذا قلت لمن تأمره بالقيام: (قم .. قم.. قم) فإنما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام في تلك الحال الحاضرة»[١].

وللقدماء إشارات واضحة تفيد دور بنية التكرار في الوظيفة الاتصالية، من ذلك إشارة أبي هلال العسكري في أن دور التكرار مهم في تأكيد الحجة[٢] هذا الدور الذي يؤكده البعض بالقول: «إن الخطاب الحجاجي العربي يعتمد في الإقناع على العرض اللغوي للدعاوى الحجاجية بتكرارها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة»[٣].

ويستعمل التكرار أيضًا من أجل تقرير وجهة نظر معنية وتوكيدها، من ذلك قوله تعالى: ﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[٤] كذلك يستعمل للتعبير عن الدهشة من وقائع تبدو متضاربة مع وجهة نظر مستقبل النص، كذلك يأتي لتأكيد الرفض، بالإضافة إلى استعمالات أخرى كثيرة تزودنا المصادر البيانية بطائفة منها.

ثالثًا: سيدنا يوسف عليه السلام وإخوته:

انعقد الحدث الاتصالي بين يوسف عليه السلام وإخوته في أكثر من مرة كما في الآيات: ﴿**وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠)**﴾، وقوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)**﴾،

---

(١) ابن الأثير: المثل السائر، ج ٣، ص ٢٠، ٢٩.

(٢) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، د. محمد علي البيجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية ، ص ١٥٦.

(٣) النص والخطاب والاتصال، ص ٢٤٣ .

(٤) سورة التكاثر الآيات (٣، ٤).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عليكُمُ اليوم يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ على يُوسُفَ آوَى إليه أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩)﴾ من السورة.

الجانب المقاصدي في الآيات:

إخوة يوسف هم أبناء يعقوب، وعددهم اثنا عشر، وهم الأسباط، ومنهم الأخ الشقيق لسيدنا يوسف (بنيامين) أما الباقون فكانوا إخوة للأب سيدنا يعقوب عليه السلام، وقد ورد ذكرهم في سورة البقرة[١].

وكان مجيء إخوة يوسف -عليه السلام -إلى مصر للميرة عند حلول القحط بأرض مصر، وما جاورها من بلاد فلسطين منازل آل يوسف -عليه السلام – و كان مجيئهم في السنة الثانية من سني القحط، و إنما جاء إخوته عدا بنيامين لصغرها ورحلوا للميرة كلهم لأن التزويد من الطعام كان يراعي فيه عدد الممتارين، وأيضًا ليكونوا جماعة لا يطمع فيهم قطاع الطريق، وكان الذين جاءوا عشرة)[٢].

سلوك الهيئة الاتصالية في الآيات:

أما الحدث المنعقد بين يوسف و إخوته فقد جاء متأخرًا، أي في النصف الثاني من السورة حسب الآيات البالغ عددها (١١١ آية)، اختص الحدث المنعقد بين يوسف و إخوته منها بثماني آيات، وابتدأت بالآية: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩)﴾

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٦.
(٢) التحرير والتنوير.

و انتهى الحدث بالآية:﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ﴾. و يمكن تقسيم الحدث الواقع بين يوسف و إخوته إلى مرحلتين بحسب الآيات. المرحلة الأولى: يوسف يلتقي إخوته وهم له منكرون. وتمثل هذه المرحلة الآيات:

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠)﴾.

وقوله تعالى:﴿قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)﴾. وقوله تعالى:﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩)﴾.

ويغلب على هذه الآيات مايلي:

اتحاد المرسل والمتلقي الواحد في الآيات (سيدنا يوسف عليه السلام(المرسل) إخوة يوسف عليهم السلام (المتلقي) واعتماد الآيات الثلاثة على جملة مقول القول وخطاب الحكاية. مع غلبة الخطاب الإقناعي، والاستعانة بآليات التدعيم والاستشهاد كما في الآية الأولى: ﴿أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف:٥٩] وكذلك: ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف:٧٧] واعتماد بنية المناظرة أو ما يسمى بالمحاورة القريبة حاضرة حيث وجهتا نظر العارض والمعترض، سيدنا يوسف عليه السلام يقدم التدعيم العقلي كعارض في مقابل الوجهة الأخرى للمناظرة (المعترض) إخوة يوسف عليه السلام.

على أن هذه الاستراتيجية لم يستخدمها العارض فقط، بل لجأ إليها المعترض أيضًا في الدفع والرد: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[يوسف:٧٧].

ويعتبر هذا الحدث هو الحدث الأول بين سيدنا يوسف عليه السلام وإخوته، وفي طلب بقاء الحالة الاتصالية قائمة بين المرسل والمتلقي، يلجأ سيدنا يوسف عليه السلام إلى طرق تهيئ المستمع أو المتلقي، وكثيرة هي الطرق التي يتبناها المرسل لبقاء الاتصال، منها أن يطلب المرسل من المتلقي أن يقرأ أو ينصت - طبقًا لحال الخطاب- باهتمام ووعي وبشكل صريح، وهي طريقة غاية في المباشرة، ومنها أن يحيل المبدع خطابه على سابق أو لاحق، ومنها الاستعانة بالمحددات الأسلوبية الجاذبة كالاستفهام والتعجب والأمر وغيرها...

وفي هذا الحدث نجد سيدنا يوسف عليه السلام يعتمد أسلوب الأمر طلبًا لجذب المتلقي، واستشعارًا لأهمية القضية المثارة، ثم يثني هذه الحالة بآلية تدعيم أخرى منها الاستفهام التعجبي في قوله تعالى: ﴿**أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**﴾ [يوسف:٥٩] وكذلك أسلوب الشرط المنطوي على لغة التهديد الصادرة مما هو أعلى:﴿**فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ**﴾ [يوسف:٦٠]. وقد استمرت حالة الاتصال قائمة حتى الختام، والذي التقى فيه سيدنا يوسف سيدنا يعقوب وباقي الإخوة، عبر استخدام آلية الاستفهام الجاذبة المشوقة:﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ**﴾[يوسف:٨٩].

- تفاوت المرتبة بين أطراف الاتصال، أو هناك طرفان؛ الأول يمثله سيدنا يوسف عليه السلام في سلم اجتماعي أرقى (الطرف الأعلى) والثاني إخوة يوسف عليهم السلام (الطرف الأدنى) فقد كان سيدنا يوسف عزيزًا لمصر، ويملك خزائن الحبوب بعد أعوام المجاعة القاتلة.

واعتمادًا على السابق نجد هذه المحددات الأسلوبية التي تناسب السلم الاجتماعي الخاص بالملك حيث الأمر من الأعلى مكانة أو رتبة إلى الأقل: ﴿**ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ**﴾[يوسف:٥٩]. ولغة التهديد الواضحة:﴿**فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ**﴾[يوسف:٦٠]. ولغة الفخر: ﴿**أَلاَ تَرَوْنَ**

أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[يوسف:٥٩]. ولغة الوصف التي تنطوي على نقد المتلقي: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾[يوسف:٧٧].مع إطالة المدى الحواري المعتمد على الجمل الطويلة لمناسبة المقام حيث سيطرة خطاب المرسل كلية على الحدث في مقابل دفوع المتلقي (إخوة يوسف) والتي لم توجه بصورة مباشرة للمرسل.

المرحلة الثانية: وهي توضح حالة الاتصال القائمة بين يوسف عليه السلام وإخوته، وهي المرحلة التي تعرف فيها إخوةُ يوسف عليه، وتمثلها أربع آيات في السورة بالكامل: قال تعالى:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾[يوسف: ٨٩].

﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:٩٠].

﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عليكم اليوم يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢].

﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[يوسف:٩٣].

وفي سياق قصصي ومنطقي للأحداث تأتي الآيات متتالية مصدرة بجملة مقول القول، إلا الآية الأخيرة:﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾يوسف:٩٣]. والتي جاء فيها الخطاب مباشرًا من المرسل إلى المتلقي في صورة أمر قطعي الدلالة يناسب الطبقة الاجتماعية للمرسل.

ويمكن نمذجة الحالة الاتصالية لهذا المشهد الكشفي على النحو الآتي:

obeikandi.com

لو افترضنا أن المرسل سيدنا يوسف (أ) وأن المتلقي إخوة يوسف عليهم السلام (ب): وستكون ترسيمة المشهد على النحو الآتي:

(أ) المرسل ←	(ب) المتلقي	﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٩)
(ب) المرسل ←	(أ) المتلقي	﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٠)
(أ) المرسل ←	(ب) المتلقي	﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٠)
(أ) المرسل ←	(ب) المتلقي	﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عليكم اليوم يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢)
(أ) المرسل ←	(ب) المتلقي	(اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣)

obeikandi.com

ومعنى ذلك أن أطراف العملية الاتصالية واقعة بين طرفين (المرسل والمتلقي)، وأن المرسل، و يمثله سيدنا يوسف عليه السلام مشاركًا في العملية أو الحدث الاتصالي بنسبة (٤ - ١) وأن إخوة يوسف عليهم السلام كانت مشاركتهم في الاستقبال بنسبة (٤ - ١) ومرة واحدة تحول فيها المرسل إلى مستقبل والعكس.

و إذا كان المشهد مكونًا من أربع آيات محكمات، فإن الآيات:﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩)**﴾، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عليكم اليوم يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)**﴾ اختصت بالمرسل (المفرد) فقط، ويقابله المتلقي (الجمع)على الناحية الأخرى، في حين تمثل الآية:﴿**قَالُواْ أَ إِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ علينا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين**﴾ [يوسف:٩٠] حالة اتصالية مختلفة انتقل فيها المتلقي إلى مرسل ﴿**قَالُواْ أَ إِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ**﴾ ثم تحول فيها المتلقي (سيدنا يوسف) إلى مرسل في الآية نفسها: ﴿**قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا**﴾.

القوة الإنجازية في خطاب المرسل:

لقد تنوعت استراتيجيات المرسل والمتلقي تبعًا للسياق، ويمكن رصد استراتيجيات المرسل كالآتي:

- اعتماد الأساليب الإنشائية التي تنوعت طبقًا لحالة الاتصال، فالبدء بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ**﴾[يوسف:٨٩] يناسب حالة التعريف أو لحظات الكشف التي يرجو يوسف عليه السلام من خلالها أن يلم شمل الأسرة، و يعفو عن إخوته، ومعلوم أن الاستفهام في القرآن بعامة، وفي سورة يوسف بخاصة

نمطًا تعبيريا متميزًا، وظاهرة أسلوبية تستند إلى خصائص لغوية ينزاح إليها الاستفهام، لتحقيق أغراض بلاغية غير المعنى الأصلي الذي وضع له «وهو طلب الفهم والاستخبار عن شيء مجهول»(١).

لقد ذهب الزمخشري إلى القول - في الآية السابقة:«بأن يوسف كلم إخوته مستفهمًا عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، فقال: هل علمتم قبح: ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾[يوسف:٨٩] لا تعلمون قبحه، فلذلك أقدمتم عليه، يعني: هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه، لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجر إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم، وتنصحًا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبًا»(٢).وعند الفخر الرازي: إن يوسف قال لإخوته: «ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف، وأقبح ما أقدمتم عليه»(٣) وقيل: «إن الاستفهام تذكير وتوبيخ»(٤) واقتصر البعض على دلالة التذكير(٥).

ويبدو أن دلالة التذكير ترادفها دلالة أخرى مأخوذة من الغرض البلاغي والنحوي والذي وضع الاستفهام من أجله، وهو طلب الفهم والاستخبار عن شيء مجهول، وطلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلًا عنده مما سأله عنه(٦).

والقصد طلب تفعيل الجانب الإدراكي عند المتلقي لينتبه إلى المتحدث الذي يعلمه بنفسه، فقول سيدنا يوسف عليه السلام في صورة الاستفهام:﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٩] يعني لفت نظر إخوة يوسف إلى أن

(١) (للتعرف على مفهوم الاستفهام، ينظر ابن فارس: الصاحبي، ٢٩٢ – ٢٩٧. القزويني: شرح التلخيص، ص٨، الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن ج٢، ٣٧٦ وما بعدها وانظر أيضًا النظم القرآني في سورة يوسف عليه السلام. رسالة ماجستير من إعداد الطالب جمال رفيق يوسف الحاج. جامعة نابلس. فلسطين، ٢٠٠٠، ص,١٠٩.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج٢، ص٤٧٢.

(٣) الرازي: التفسير الكبير. ج١٨، ص٢٠٣.

(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٩، ص٢٥٥.

(٥) الزركشي: البرهان في علوم القرآن. ج٣، ص٣٤٠، والسيوطي في الإتقان، ج٨، ص٨٠.

(٦) السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبدالعال سالم مكرم. ج٧، ص٤٣. بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

المرسل هو يوسف نفسه عليه السلام، فقد كانت الحادثة (أي حادثة الجب) بعيدة عن مرأى ومسمع أي أحد، فكيف للمرسل بمعرفتها إلا إذا كان هو يوسف نفسه عليه السلام.

- أما قوله في ختام الآية:﴿**إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُون**﴾ [يوسف:٨٩] فقصد منه التأنيس وبسط العذر، وهو من المقاصد البلاغية للاستفهام، وفي حال كون إخوة يوسف عليهم السلام جاهلين لعظم ما ارتكبوه، فقد كان يوسف متسامحًا معهم، قابلًا لأعذارهم، مقدمًا الاعتذار طلبًا لإبقاء الحالة الاتصالية قائمة، وإنما كاشفهم بحاله الآن، لأن الاطلاع على حاله يقتضي استجلاب أبيه وأهله إلى السكنى بأرض ولايته، وذلك كان متوقفًا على أشياء لعلها لم تتهيأ إلا حينئذ(١).

إن أخلاق التسامح والعفو المتأصلة في الأنبياء عليهم السلام تؤكده الآية: ﴿**قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عليكُمُ اليوم يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [يوسف:٩٢]، والآية السابقة ترصد استراتيجيات المرسل المختلفة في حالته الاتصالية، فإذا كان الاعتماد في الآية: ﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ**﴾[يوسف:٨٩] على الاستفهام الذي يقصد به اللوم، فإن هذه الآية تتصدرها دعوة أخلاقية رائعة، ورسالة تواصلية ناجحة بدأت بالنفي القطعي لدلالة الاستفهام السابقة، وأن الذنب قد غفر، فرفع عنهم الذم فقال «لا تثريب عليكم». والتثريب: التوبيخ والتقريع. والظاهر أن منتهى الجملة هو قوله «عليكم» لأن مثل هذا القول مما يجري مجرى المثل، فيبني على الاختصار فيكتفي بـ (لا تثريب) مثل قولهم: لا بأس، وقوله تعالى (لا وَزَرَ).

وزيادة (عليكم) للتأكيد مثل زيادة (لك) بعد (سقيا ورعيا)، فلا يكون قوله (اليوم) من تمام الجملة، ولكنه متعلق بفعل (يغفر الله لكم). وأعقب ذلك

(١) التحرير والتنوير، تفسير سورة يوسف ص٤٨.

بأن أعلمهم بأن الله يغفر لهم في تلك الساعة لأنها ساعة توبة، فالذنب مغفور لإخبار الله في شرائعه السالفة دون احتياج إلى وحي سوى أن الوحي لمعرفة إخلاص توبتهم[1]. وقوله أيضًا (يغفر الله لكم) خبر لمعنى الدعاء، والتعبير بلفظ المضارع يوحي بالبشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذٍ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم»[2].

كذلك يستغل المرسل أسلوب الأمر الذي ساقه بقصد المفاجأة، وتعجيل المسرة والبشارة في تتابع بقصد الإفهام، وذلك في نهاية الحدث أو الموقف القائم بين يوسف عليه السلام وإخوته، يقول عليه السلام مخاطبًا إخوته: ﴿**اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أَبِي**.....﴾[يوسف:٩٣] فقد تتابع الأمر أكثر من مرة، ومن موجبات الأمر أن يتعلق بما هو أعلى لما هو أدنى مع مراعاة الرتبة الاجتماعية، فعند البلاغيين يقصد به: «طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله أربع صيغ قياسية، هي فعل الأمر الصريح والمضارع المقترن بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر[3]» ويخرج الأمر عن أصله في النظام النحوي إلى دلالات معنوية، ومقاصد أسلوبية، باعتبار القرائن وسياق الكلام، وهذا ما قصده السكاكي في تعريفه للأمر، إذ قال: «عبارة عن استعمال نحو لينزل، وانزلْ ونَزال، وصَهْ على سبيل الاستعلاء، وتوقف ما سواه على الدعاء والالتماس والندب والإباحة، والتهديد على اعتبار القرائن[4] ويسميه بعضهم «الأمر المجازي لأنه لا أمر فيه»[5].وطبقًا للأغراض البلاغية التي ذكرها البلاغيون للأمر، تبقى الدلالة المركزية لأسلوب الأمر ثابتة، وهي الاستعلاء الذي يناسب المرسل، وهو سيدنا يوسف عليه السلام، الذي تبوأ في مصر مكانًا

---

(١) المرجع السابق، ص٥٠.
(٢) الكشاف. ج٢، ص٤٤١.
(٣) العلوي: الطراز. ج٣، ص٢٨١. القزويني: الإيضاح. ج٣، ص٨١.
(٤) السكاكي: مفتاح العلوم. القاهرة، ١٩٣٧، ص١٥٢.
(٥) منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجمل. الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٩٣، ص١٢٠. والاقتباس من جمال يوسف الحاج: النظم القرآني في سورة يوسف. رسالة ماجستير جامعة النجاح. فلسطين، ٢٠٠٠، ص٨٩.

عليا، أما أمره لإخوته فيحتمل دلالة الإباحة في أن يحمل إخوته قميصه إلى أبيه يعقوب عليه السلام حتى يرد الله عليه بصره.

استعان المرسل أيضًا بالمحددات الأسلوبية الآتية ليفعل من قوة الخطاب الإنجازي: الأمر المشروط بالأداء الحركي المكتسب من دلالة الأفعال: (اذهبوا - ألقوه - ائتوني).قوة المتكلم وسطوته الظاهرة في أدائه الأسلوبي عبر استخدام ضمائر المتكلم في أكثر من بنية: (قميصي - أبي - ائتوني...) التأكيد على حضور المتلقي بصورته الجمعية أي دلالة الجمع عبر استخدام الضمائر الدالة على صيغ الجمع: (اذهبوا - ألقوه - ائتوني - أهلكم - أجمعين).

سيطرة المرسل في مقابل المتلقي الذي أشار إلى حضوره بكاف خطاب وحيدة، مما يعطي انطباعًا للمسافات البينية بين الاثنين، وتفاوت الرتبة الاجتماعية بينهما: (قميصي - أبي - ائتوني) في مقابل (أهلكم).ثقة المرسل في نتائج خطابه وقوته الإنجازية:﴿**فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا**﴾ [يوسف:٩٣] ذلك أن فعل الإلقاء لا يرتبط أصلًا بحالة الإبصار، والقطع الدلالي بالرؤية التي ساقها المرسل، (وأما كونه يصير بصيرًا فحصل ليوسف عليه السلام بالوحي، فبشرهم به من ذلك الحين. ولعل يوسف -عليه السلام - نبئ ساعتئذٍ، وأدمج الأمر بالإتيان بأبيه في ضمن تبشيره بوجوده إدماجًا بليغًا إذا قال «يأت بصيرًا» ثم قال:﴿**وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [يوسف:٩٣] لقصد صلة أرحام عشيرته»[1].

وعمد هذه اللوحة الاتصالية ترصده الآية:﴿**قَالُواْ أَ إِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[يوسف:٩٠]. وهي الآية الوحيدة التي ظهر فيها سلوك المتلقي عندما يتحول إلى مرسل في اللوحة المشار إليها، حيث البدء بمقول القول (قالوا) ثم الاستفهام بالحرف (أ إنك) والتأكيد بأداتي التوكيد (إن) واللام في (لأنت).

---

(١) التحرير والتنوير، سورة يوسف، ص٥١.

وعند النحاة أن الهمزة أصل حروف الاستفهام وتتصدر الكلام، و يستفهم بها عن المفرد، وعن الجملة في مقام الشك و التردد[1] ولا يستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات المستفهم عنه، وهي في ذلك على النقيض من «هل» التي يستفهم بها عندما لا يترجح إثبات المستفهم عنه ولا نفيه، فالمستفهم بالهمزة، يكون لديه ميلان و إحساس لأحد الشيئين، في مقابل «هل» الذي يكون لدى المستفهم حالة استواء بين الشيئين[2].

والقصد من السابق هو أن إخوة يوسف عليهم السلام غلب عليهم الإحساس والميلان بأنه من يحدثهم هو سيدنا يوسف عليه السلام، و إذا كان البلاغيون يعدون للهمزة معاني بلاغية متعددة مثل: التقرير والإنكار والتحقير والتعظيم والتعجيب والتخصيص والتمني والأمر والنهي والنفي والتعجب والتسوية بين الشيئين، فإن قياس القوة الإنجازية لهمزة الاستفهام في الآية يعطينا أكثر من دلالة؛ منها التمني الناتج عن رغبة إخوة يوسف عليهم السلام في أن يكون من ملك مصر هو أخوهم يوسف عليه السلام، وأن المكروه الذي ألمّ به من فعلهم قد أبدله الله بالخير ليوسف عليه السلام، وقد يحتمل الاستفهام دلالة التعظيم، التي يصرح بها المتلقي طلبًا لود المرسل، وبقاء حالة الاتصال كما فعل إخوة يوسف عليهم السلام.

وتعطينا الوسائل المعجمية أو وسائل الربط المعجمي داخل الآية مثالًا على حسن الربط، وجودته واتساقه مع القضية الأساسية، التي صرح بها المرسل (إخوة يوسف) ورغبة المتلقي (سيدنا يوسف) في تأكيدها، والقصد الإجابة عن الاستفهام المشفوع بالتمني والرغبة الحقيقية: (أأنت يوسف)؟

(١) السكاكي: مفتاح العلوم، ص١٤٤.
(٢) عروس الأفراح، ج٢، ص٢٧١.

ومن حالات الربط المعجمي بنية التكرار الغالبة داخل الآية التي نرى أنها عمد المشهد الذي سبق التوضيح بشأنه، ولكون السورة عامة تتعلق بسيدنا يوسف عليه السلام، فقد ورد التكرار لاسم النبي يوسف في السورة (٢٥) مرة في مقابل مرتين في باقي سور القرآن الكريم عامة؛ واحدة في سورة الأنعام:﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَي وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[الأنعام: ٨٤] وقوله عز وجل في سورة غافر: ﴿وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حتى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

أما الآية التي نحن بصددها، وهي قوله تعالى:﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف: ٩٠] فقد ورد اسم سيدنا يوسف في صورة تكرار (الكلمة نفسها) مرتين في حوار تعارفي بين (المرسل والمتلقي). وقد استخدم المتلقي وسائل ربط أخرى ليؤكد الفكرة الرئيسة وهي (أنه سيدنا يوسف عليه السلام) مثل:

١ - (ضمير المخاطب) في (أأنت يوسف) .

٢ - (ضمير المتكلم) في (أنا يوسف).

٣ - (ياء المتكلم في أخي) في (هذا أخي).

٤ - (نا المتكلمين) في (علينا) في (منَّ الله علينا).

لقد كان العرض السابق استجلاء لبلاغة الخطاب من خلال الحوار فقط، والذي يمثل طرفيه المرسل والمتلقي، كان سيدنا يوسف عليه السلام المرسل وإخوته في سلوك المتلقي، ومثل هذا اللون من البحث يفتح آفاقًا أخرى، عندما يتم رصد التنوعات الأسلوبية والوسائل الإنجازية التي تتنوع طبقًا لتنوع المتلقي مع ثبات المرسل.

رابعًا: سيدنا يوسف عليه السلام والملك:

انعقدت حالة الاتصال بكامل أطرافها بين سيدنا يوسف عليه السلام، والملك في آية واحدة جاءت في منتصف السورة طبقًا لعدد الآيات الموجودة بالسورة، والتي تبلغ (١١١) آية. وقد جاءت حالة الاتصال بين سيدنا يوسف عليه السلام والملك في قوله تعالى:﴿**قَالَ اجْعَلْنِي على خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عليم**﴾[يوسف: ٥٥]. ورد فيها يوسف عليه السلام مرسلًا.

الجانب المقاصدي في الآيات:

نشأت حالة الاتصال هذه بعد رؤيا الملك التي بحث لها عن تأويل، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ(٤٣)**﴾[يوسف: ٤٣]، وقوله تعالى أيضًا على لسان الملك: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ...(٥٤)**﴾[يوسف: ٥٤] بعد أن أخبر بحال سيدنا يوسف عليه السلام، والذي عبر له الرؤيا. وتبدو الآية طبقًا لموقعها العددي في السورة بداية مرحلة جديدة في حياة سيدنا يوسف عليه السلام.

سلوك الهيئة الاتصالية في الايات:

أطراف الاتصال طبقًا لحالة الاتصال في الآيات جاءت متفاوتة ومنعقدة بين سيدنا يوسف والملك ، وافتتح الحالة الاتصالية الملك برغبته في مقابلة سيدنا يوسف، وكان المتلقي ديوان الملك، واعتمادًا على آلية الحذف لتسريع الحدث، لم يحك القرآن الكريم كيف وصل الديوان ليوسف عليه السلام والزمن الذي استغرقه، وكيف كان اللقاء ومقدماته، في دليل يقضي بضغط الحدث زمانيًّا ومكانيًّا ويمكن عرض هذه الحالة الاتصالية من خلال المخطط الآتي طبقًا للآيات :

المرسل (الملك)ـــــــــــ←(وقال الملك ائتوني به...)

المتلقي:(ديوان الملك).

المرسل (الملك)ـــــــــــ←(إنك اليوم لدينا مكين).

المتلقي (يوسف عليه السلام) .

المرسل (يوسف)ـــــــــــ←(اجعلني على خزائن الأرض).

المتلقي (الملك).

أما قوله تعالى (فلما كلمه) فيتحمل أن يكون المرسل هو الملك والمتلقي هو يوسف أو العكس.

ومن خلال السابق يمكن التوصل إلى مجموعة النتائج، ومن ثم توصيف المحددات الأسلوبية التي لجأ إليها كل طرف من أطراف العملية الاتصالية طبقًا للرتبة الاجتماعية لكلا الطرفين. أما (المرسل) فقد تنوع بين (الملك)، و(سيدنا يوسف) حيث ورد الملك مرسلًا (ثلاث) مرات في مقابل (مرتين) جاء فيهما سيدنا يوسف مرسلًا، من ذلك، أن البعض يسعى إلى الحكام والسلاطين في حين

obeikandi.com

كان سعي الملك لمقابلة يوسف ومن ثم إقامته على خزائن الأرض أكثر من رغبة يوسف عليه السلام.

أن علاقة الحوار ناجحة حيث تقيم للوظيفة الاجتماعية حقها في كون الملك أكثر إرسالًا من غيره، فهو الملك و إلى الرعية تصدر الأوامر منه. وتحفظ ليوسف النبي مرتبة النبوة العليا الذي يسعى إليه الملك.

أما (المتلقي) فقد جاءت الآلية متعادلة بين طرفي الاتصال (الملك) و(سيدنا يوسف) فقد كان سيدنا يوسف عليه السلام متلقيًّا في حدثين، وتساوى معه الملك في ذلك، وفي حالة كون الملك مرسلًا فقد افتتح الحدث الاتصالي به مخاطبًا ديوانه مرة، ومخاطبًا يوسف عليه السلام مرتين، في وقت تسمح به البنيات اللغوية المستخدمة في تجلية رغبة المرسل حيث الاعتماد على السين والتاء في (أستخلصه) للمبالغة التي تؤكد رغبة المرسل في حديثه ليوسف عليه السلام.

كذلك اعتماد الأمر في (ائتوني) للدلالة على رتبة الملك الاجتماعية، كذلك قوته، وسلامة رأيه وتصرفه والقيام بشئون البلاد في (أستخلصه لنفسي).

ولأن المتحدث ملك فلم يقدم تبريرات إقناعية لسبب الاختيار والاصطفاء، صحيح ما شهر عن سيدنا يوسف في ديوان الملك والبلاد بأجمعها، لكن الملك ربما عدل عن التوضيح، ومال إلى الإيجاز طلبًا للسرعة، أو مراعاة لرتبته الاجتماعية أو «شدة اتصاله بيوسف، والعمل معه وما ظهر من حكمته وعلمه وصبره على تحمل المشاق وحسن خلقه ونزاهته..»[١].

لقد أحب الملك يوسف عليه السلام ووثق به؛ فاعتمد هذه الإحالات الضميرية لتشير إليه:(وقال الملك ائتوني به) أي بسيدنا يوسف (الهاء) في (به). و(أستخلصه لنفسي) أي سيدنا يوسف (الهاء) في (أستخلصه). مع تنوع خطاب

(١) التحرير والتنوير – سورة يوسف. الآيات.

الملك (المرسل) بين لغة الأمر في: (ائتوني به) والتمني المبني على لغة المستقبل في: (أستخلصه لنفسي) في تبيان لدلالات شتى منها: السرعة المنجزة في الإتيان بيوسف عليه السلام، ورغبة الملك الأكيدة في ذلك. وأن أمر الإتيان لن يأخذ وقتًا طويلًا في مقابل مادة (أستفعل) (أستخلص) التي تدل على التكلف والمعاناة، لأن الاستخلاص يأخذ وقتًا طويلًا. والأحداث كانت تجري بسرعة متلاحقة، وأن سطوة الملك كانت غالبة، أو لأنه أحس بالخطر المحدق بعد تأويل الرؤيا، فقد كان حضور سيدنا يوسف سريعًا عبر الاعتماد على دلالة الفاء في (فلما).

التأكيد على مقام سيدنا يوسف عليه السلام الذي أحب الملك اصطفاءه والقرب منه. وعندها تحول سيدنا يوسف عليه السلام من حالة التلقي إلى حالة الإرسال؛ من خلال الاعتماد على دلالة الحذف في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا كَلَّمَهُ**﴾ [يوسف:٥٤] وهي جملة مفرعة عن جملة محذوفة دل عليها ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ**﴾ [يوسف:٥٤] والتقدير فأتوه به. أي بيوسف –عليه السلام – فحضر لديه، وكلمه، فلما كلمه، والضمير المنصوب في « كلمه» عائد إلى الملك، فالمتكلم هو يوسف عليه السلام. والمقصود من جملة «فلما كلمه» إفادة أن يوسف عليه السلام كلم الملك كلامًا أعجب الملك بما فيه من حكمة وأدب. ولذلك فجملة: ﴿**قَالَ إِنَّكَ اليوم لدينَا مِكِينٌ أَمِين**﴾ [يوسف:٥٤] جواب «لما» والقائل هو الملك لا محالة[1].

القوة الإنجازية في الآيات

هذا الحدث الاتصالي أنتجه ثلاثة أطراف؛ الملك الذي يعد المرسل الأول ثم سيدنا يوسف عليه السلام، وديوان الملك الطرف الثالث. والمعنى أن طلب سيدنا يوسف عليه السلام جاء مبنيًّا على حالة استفسارية بدأها الملك وديوانه

(١) التحرير والتنوير سورة يوسف. الآيات.

حال البحث عن تأويل الرؤيا، وحالة التقصي الصادقة التي أظهرت خلق سيدنا يوسف الصديق وصفاءه.

وفي بحث دفوع المرسل (يوسف عليه السلام) في حالة الاتصال السابقة يتضح الآتي:

أن حديثه عليه السلام جاء مبنيًّا على حديث الملك في صورة رد أو في حالة استراتيجية تحول فيها المتلقي إلى مرسل. وأن حديثه عليه السلام جاء مبتعدًا عن لهجة الالتماس والرجاء، فقد جاء مصدرًا بفعل الأمر (اجعلني) الذي يعني الإقامة على شئون البلاد الاقتصادية.

أن طلبه عليه السلام أن يكون مسئولًا عن النواحي الاقتصادية في البلاد، جاء بعد رغبة الملك في أن يستخلصه لنفسه، وبعد أن كان له خير معين عندما قال له: ﴿**قَالَ إِنَّكَ اليوم لدينَا مِكِينٌ أَمِين**﴾ [يوسف:٥٤].

كانت دفوع سيدنا يوسف عليه السلام منطقية، اعتمادًا على الحجج الواقعية أو ما يسمى ببنية الاستدلال الحجاجي عبر ما يسمى بالمبررات أو الدوافع أو الدلائل، ويقصد بذلك الأسباب المعطاة من أجل دعم مطلب ما وتشجيعه ومساعدته ومساندته، أو بعبارة أخرى الدليل أو الإثبات، والذي يأتي غالبًا في شكل أمثلة تطبيقية أو استنتاجات منطقية، وفي سورة يوسف وردت هذه الأمثلة:

قال تعالى: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي على خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عليمٌ**﴾ [يوسف:٥٥] فالحفظ يقتضي الأمانة، والعمل يقتضي العلم، والمعنى أن يوسف عليه السلام أمينًا محافظًا عالمًا عاملًا.

شهادة الملك عنه:﴿إِنَّكَ اليوم لدينَا مِكِينٌ أَمِينٌ﴾[يوسف:٥٤].سؤاله عن حال النسوة في المدينة، ومدى ما يتوافق فيه قولهم مع رأي الملك:﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عليمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عليه مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[يوسف:٥٠-٥١] والواقعة الكلامية تتسع لجميع النتائج الهامة في تفاعل المواجهة، وهو وصف يتضمن التعامل مع الفونولوجيا والوحدات المعجمية والنحو والسلوك الحركي.

خامسًا: سيدنا يوسف عليه السلام وعزيز مصر:

لم تنعقد حالة الاتصال كاملة بين سيدنا يوسف عليه السلام وعزيز مصر إلا في آية واحدة داخل السورة، وهي آية وصفت سلوك المرسل من خلال جوهر خطابه وهو سيدنا يوسف عليه السلام وكان عزيز مصر في حالة المتلقي للخطاب. قال سيدنا يوسف عليه السلام كما ورد في الآيات: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾[يوسف:٢٦].

الجانب المقاصدي في الآيات:

جاء رد العزيز متأخرًا بعد الاستبيان والتحقق من طهر سيدنا يوسف عليه السلام عندما قال:﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٢٩] وجملة ﴿قال هي راودتني عن نفسي﴾ من قول يوسف عليه السلام، وفصلت لأنها جاءت على طريقة المحاورة مع كلامها، وجملة ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾[يوسف:٢٩]أمر ليوسف عليه السلام جاء على سبيل الترجي بالإعراض عما رمته به زوج العزيز، أي عدم مؤاخذتها بما وقع منها،

obeikandi.com

وبالكف عن الخوض فيه، وأمر زوجه بالاستغفار من ذنبها أي اتهامها يوسف عليه السلام بالجرأة أو الاعتداء عليها، وكذلك الاستغفار عن التفكير في مثل هذا الأمر مرة ثانية.

و قوله: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾ من قول العزيز، إذ هو صاحب الحكم. و جملة ﴿**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ**﴾ عطفت على جملة ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ**﴾ في كلام العزيز عطف أمر على أمر والمأمور مختلف. وكاف المؤنثة المخاطبة متعين أنه خطاب لامرأة العزيز، فالعزيز بعد أن خاطبها بأن ما دبرته هو من كيد النساء، وجه الخطاب إلى يوسف -عليه السلام - بالنداء ثم أعاد الخطاب إلى المرأة. وهذا الأسلوب من الخطاب يسمى بالإقبال، وقد يسمى بالالتفات بالمعنى اللغوي عند الالتفات البلاغي، وهو عزيز في الكلام البليغ. ومنه قول الجرمي من طي من شعراء الحماسة:

إخالَكَ مَوعدي ببني جُفَيْف وهالةَ إنني أنهاكِ هـالا

قال المرزوقي في شرح الحماسة: والعرب تجمع في الخطاب والإخبار بين عدة ثم تقبل أو تلتفت من بينهم إلى واحد، لكونه أكبرهم أو أحسنهم سماعًا وأخصهم بالحال[1].

سلوك الهيئة الاتصالية في الآيات:

جاء خطاب سيدنا يوسف عليه السلام في صورة دفاع لاتهام وقع له، عبر استخدام وسائل إقناعية مهمة منها أن تكون العبارة منجزة الدلالة، قصيرة البناء مع التأكيد على وجود الخصم وحضوره داخل بنية الكلام (قال هي راودتني...) والمراودة تعني تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة، في التكرير، وقيل المفاعلة تقديرية بأن اعتبر العمل من جانب، والممانعة من الجانب الآخر من العمل

(١) التحرير والتنوير. سورة يوسف، الآيات.

obeikandl.com

بمنزلة مقابلة العمل بمثله. وتقتضي المراودة الفعل بين الطرفين، وفي حالة إثبات فعل المراودة تكون زوجة العزيز هي الطالبة، ويكون يوسف عليه السلام هو المطلوب، وعندئذ تعني المراودة محاولة امرأة العزيز أكثر من مرة طلبًا ليوسف ورفضه هو في سلوك الممانعة أكثر من مرة، قال تعالى:﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي...﴾[يوسف:٢٦] وأجابت هي في موضع آخر:﴿أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[يوسف:٥١] وهذه القضية توضحها زمرة من الآيات المحكمات التي دارت فيها مادة (راود) لتعبر عن تنوعات مختلفة لأطراف الاتصال (المرسل - المتلقي) وفقًا لتصور الآتي:

الآية	المرسل	المتلقي
قال تعالى:﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ يوسف(٢٣)	امرأة العزيز	يوسف
قال تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ يوسف(٢٦)	يوسف	أكثر من متلق(العزيز – الشاهد -...)
قال تعالى:﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ يوسف(٣٠)	النسوة	النسوة
قال تعالى:﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾ يوسف (٣٢)	امرأة العزيز	النسوة
قال تعالى:﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾يوسف (٥١)	الملك	النسوة
قال تعالى:﴿أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يوسف (٥١)	امرأة العزيز	الملك

obeikandl.com

ويمكن توضيح سلوك الهيئة الاتصالية لهذه الآيات كالآتي:

القوة الإنجازية في الخطاب:

جاء سيدنا يوسف عليه السلام في صور المرسل مرة واحدة، مخاطبًا أكثر من متلق (العزيز- الشاهد- امرأة العزيز) إثباتًا لطهر يوسف عليه السلام، لقد كان عليه السلام مدفوعًا إلى إظهار صدقه وطهره في مقابل دحض فرية أو اتهام، وهو الموقف الوحيد الذي يستخدم فيه المرسل لفظ المراودة، وهو أمر يترجم بتحفظ سيدنا يوسف عليه السلام ونفوره من الحديث في هذه القضية، ولعل استفساره عليه السلام عندما عرض عليه الخروج من السجن أبلغ تعليل، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام:﴿**قَالَ ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عليم**﴾ [يوسف:٥٠] دون أن يستخدم فعل المراودة في الاستفسار. وفي المقابل جاء عليه السلام في صورة المتلقي مرة واحدة عندما راودته امرأة العزيز وغلقت الأبواب.

أما دوران مادة (راود) فكان أكثرها على لسان امرأة العزيز، وفي لحمة خطابها، حيث وردت المادة ثلاث مرات، الأمر الذي يعني عدم استنكافها من الفعل ورغبتها فيه، ولربما كانت النسوة في هذا المجتمع يتمتعن بقدر من الحرية والسيادة، حتى بدا اشتراك امرأة العزيز مع بقية نسوة المدينة في الاعتماد على المادة اللغوية نفسها.ويبدو أيضًا أن هذا الفعل أو ملابساته كانت شائعة، أو أن القضية شكلت رأيا عامًا قويًا، عندما تحدثت النسوة عن رغبة امرأة العزيز في فتاها التي اتخذته ابنًا لها، ولربما كان مثار الاستهجان تلك المرتبة التي وضع فيها سيدنا يوسف بين جدران القصر، وكون زوجة العزيز أُمًّا ليوسف عليه السلام، ولم يكن غريبًا أيضًا أن يسأل الملك اعتمادًا على المادة اللغوية نفسها عندما قال:

﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ في تصور يخالف سلوكيات مجتمع محافظ.

تشهد الآيات أيضًا بحضور المجتمع الاستقراطي بكامل أطيافه، بالرغم من تحذيرات العزيز، قال تعالى:﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾ [يوسف:٢٩]، لكن أطياف المجتمع:(الملك - امرأة العزيز - النسوة في المدينة) كانوا أكثر إسهابًا في الحديث عن القضية، وصمت عنها سيدنا يوسف عليه السلام في خُلقٍ نبويّ رائع، ووفقًا للآيات فإن الحالة الأولى تبادل سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز أطراف القضية، وكان عزيز مصر متلقيا للطرفين، بما يوحي بتشابك الأحداث، وتفاقم الأزمة.

لقد تبادلت امرأة العزيز والنسوة حالتي الإرسال والتلقي، وإن فاق حضور النسوة في طرفي التلقي، باعتبار الموقف أو الرتبة الاجتماعية لامرأة العزيز التي أرسلت إليهن بعد سماع مكرهن.

أما سيدنا يوسف عليه السلام، فلم يكن طرفًا في انعقاد حالة الاتصال بين طرفي الاتصال غير الحضور الحركي الذي سجله القرآن الكريم:﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عليهنَّ﴾[يوسف:٣١]. وفي وقت امتلك فيه الملك زمام الأمر في صورة استفسار واستبيان، تحولت فيه النسوة إلى حالة الإرسال؛ دفاعًا عن سيدنا يوسف في حضرة الملك، على أن عزيز مصر اختفى وجوده تمامًا من القصة، وتم الربط بين يوسف عليه السلام والملك كما في الحالتين (١، ٣) من خلال قول يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ارْجِعْ إلى رَبِّكَ﴾ [يوسف:٥٠] غير أنه اتصال غير مباشر عبر رسول الملك، ولم يحدث أي اتصال بين يوسف والنسوة بعد ذلك.

سادسًا: بنيات حوارية متنوعة:

يقصد بالعنوان السابق أن هناك جملًا حوارية أخرى موجودة داخل السورة، كان فيها يوسف عليه السلام مرسلًا، وأطراف متنوعة شكلت حالة الاستقبال أو التلقي، من هذه البنيات الحوارية:

أ- أصحاب يوسف عليه السلام في السجن:

قال تعالى: ﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ علينا وَعلى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَ آبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدين الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ(٤١)﴾ [يوسف:٣٧-٤١]

ب - الصاحب الذي ظن أنه ناجٍ عبر الآيات التالية:

قال تعالى:﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]

ج - رسول الملك الذي سأله عن الرؤيا:

قال تعالى:﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ

obeikandl.com

قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)﴾ [يوسف:٤٧-٤٩].

د - فتيان يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿**قَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [يوسف:٦٢].

والسابق بالتأكيد ليس حصرًا للبنيات الحوارية داخل السورة التي كان فيها سيدنا يوسف عليه السلام مرسلًا، فهناك الكثير من أطراف التلقي الموجودة داخل السورة، مثل حديثه مع أخيه بنيامين[1]، وحديثه مع أسرته[2]... إلخ.

و أول ما يلفت النظر نحو هذه البنيات اللغوية، هو معيار الطول النسبي للآيات وتعددها، فخطاب سيدنا يوسف عليه السلام لأصحابه في السجن، يعد هو الأطول بين البنيات الحوارية داخل السورة، ويحمل هذا الحوار جانبًا من الأدلة المنطقية والواقعية، فعلى سبيل المثال استعان المرسل بالدليل الواقعي في إثبات قدرته على تأويل الأحاديث، وتعدد الرؤيا الصادقة التي تقع له، فإخباره عليه السلام بأنواع الأطعمة التي تأتي إليه، ومعه أصحابه يأتي عن طريق الرؤيا، قال تعالى:﴿**قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ**﴾ [يوسف:٣٧] ولكي يمهد للدليل العقلي قال ﴿**ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ [يوسف:٣٧]، ثم يعرض عليه السلام القضية الإيمانية عبر الأدلة العقلية المتلاحقة كما في الآيات:﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ علينا وَعلى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ و آبَآؤُكُم مَّا**

(١) الآية، ٦٩ من سورة يوسف.
(٢) الآية ١٠٠ من سورة يوسف.

﴿أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدين الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ ثم يقدم المرسل (سيدنا يوسف عليه السلام) دليلًا واقعيًا على سبيل الإخبار المستقبلي لإقناع المتلقي بجدوى ما يقول: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)﴾ [يوسف:٣٨-٤١].

صدرت أيضًا هذه اللوحة أو خطاب سيدنا يوسف باعتباره مرسلًا، بالفعل (قال) مرة واحدة، في إطار من الإحالة إلى سابق، حيث أحال المرسل خطابه إلى الفعل الذي صدرت به الآيات، ليعطي أكثر من دلالة؛ منها اتساق الأحداث الإخبارية مع الزمن ووحدته؛ فتأويل أنواع الأطعمة، وإسناد أمر المعرفة لله تعالى، وإيمانه المطلق به جل وعلا، واتباع ملة آبائه إسحق وإبراهيم الذين كانوا يعبدون إلهًا واحدًا، وأن هذا من موجبات الشكر.

من ذلك أيضًا لفت نظر المتلقي وتحفيزه نحو التفكير المنطقي في أمر ما يعبدون من أرباب متفرقين، من وحي خيالهم وطبقًا لأهوائهم، ما أنزل الله بها من سلطان، ومدحه للدين الذي يعبده هو وآباؤه إبراهيم وإسحق، بأنه دين قيم، وغيرها من القضايا المتتابعة داخل الآيات تربطها بنية إحالة واحدة معتمدة على الفعل القولي (قال) مع اتحاد المكان الذي سيق فيه مثل هذا الخطاب، وهو السجن.

وفضلًا عن السابق، فقد استخدم المرسل اللغة المنطوقة لإيصال رسالته الإيمانية إلى أصحابه في السجن، وذلك عبر النداء الذي يشي بالتنبيه في قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ مع كون المكان (السجن) لا يستوجب التنبيه الذي منه رفع الصوت ، وطول مدة المكوث وكذلك تحفيز المتلقي نحو القضية الأساسية عبر الاتكاء على دلالة الاستفهام ﴿أَ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ...﴾ [يوسف:٣٩] وهذه آلية يطلق

عليها آلية الاستعانة، وهي ظاهرة تعود تسميتها إلى أبي العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ)[١] وتعني أن يدخل المرسل في كلامه، ما لا يحتاجه المستمع، ليتذكر به ما بعده، فلا شك أن القضية الأساسية الحاضرة في الآيات الكريمة هي قضية التوحيد، وأن استدلال سيدنا يوسف عليه السلام بقدرته على تأويل الأطعمة، لا يعدو إلا أن يكون نوعًا من التمهيد قبل الدخول إلى القضية الأساسية.

تظهر براعة المرسل أيضًا وحسن ترغيبه من خلال الاعتماد على التوكيد، إذ أكَّد تركه لملة الكفر بـ(إنَّ) والتعبير بالترك بمعنى الرفض المطلق، وقد آثر صيغة (تركت) مع التوكيد؛ ليقوي رغبتهما في اتباع ملة الحق وهي دين آبائه[٢] و جملة: ﴿**وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُون**﴾ [يوسف:٣٧] مؤكدة بضمير الفصل، لأن المقصود «تخصيص قوم منهم بالكفر، وهم الكنعانيون؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث مثل كفار العرب»[٣].

يلجأ المرسل أيضًا قاصدًا قوة منطقه، والتقليل من حجية الآخر في الاعتماد على دلالة التنكير التي استخدمها للتحقير، وهي دلالة تليق بالأقوام الكافرة، التي لا تؤمن بالله كما ورد في قوله تعالى على لسان يوسف:﴿**إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[يوسف:٣٧] فتنكير (قوم) جاءت لتحقيرهم، لأنهم يستمرون بالكفر، وتعبير يوسف بالترك ليس تركًا عن اعتقاد سابق بعقيدة الملة، بل هو ترك بمعنى الرفض وعدم الاتباع أصلًا، فضلًا عن معنى العموم المفهوم من التنكير، والذي يعني ترك يوسف عليه السلام ملة أي قوم وفي كل زمان ومكان لا يؤمنون بالله[٤].

---

(١) المبرد: الكامل في اللغة والأدب. مكتبة المعارف. بيروت، د.ت ج١، ص١٩.
(٢) الزمخشري: الكشاف. ج٢، ص٤٤٣.
(٣) الرازي: التفسير الكبير. ج١٨، ص١٣٧.
(٤) د/ جميل رفيق: النظم القرآني في سورة يوسف. نابلس. فلسطين، ٢٠٠٠، ص٤٦.

كذلك يجري عند دراسة آلية المرسل والمتلقي، وتنوع وسائل الخطاب تحديد المتلقي، والذي يعد تحديده أمرًا مهمًّا في نوعية الوسائل التي يلجأ إليها مرسل الخطاب، ولا شك أن خطاب سيدنا يوسف عليه السلام قد اختلف باختلاف المتلقي، وحتى على مستوى المتلقين غير الفاعلين في العملية التواصلية، أي الذين لا يتبع خطاب المرسل لهم رسالة تواصلية (رجع الصدى) مثل أصحاب يوسف عليهم السلام في السجن، وكذلك الصاحب الذي ظن أنه ناج، ورسول الملك إليه، وفتيان يوسف.

obeikandl.com